موقف الاقتصاد الإسلامي من مشكلة غسل الأموال



رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾



صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية



المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي



السلام عليكم

سر السعادة في الدنيا والآخرة

كان أكثر السلف -رضوان الله عليهم- فقراء، لم يكن لديهم المساكن البهية، ولا المراكب الفاخرة، ومع ذلك سعدوا في الحياة، وأسعدوا غيرهم؛ لأنهم وجهوا ما رزقهم الله تعالى في سبيله الصحيح، فكفاهم وأغناهم، وبُورك لهم في أوقاتهم وأعمارهم وأجيالهم ومواهبهم.

هذا في مقابل كثير من أهل الأزمنة المتأخرة، أعطوا من الأموال والأولاد والنعم الكثيرة، ومع هذا كانت سببًا لشقائهم وتعاستهم، والسبب أنهم انحرفوا عن الفطرة السوية والمنهج الحق، ولم يحمدوا الله على ما وهبهم من النعم، ولم يقنعوا بما رزقهم الله، فصاروا كالذي يشرب الماء المالح لا يرتوي منه أبدًا.

فاقنع ولا تطمع، فعما قليل ترحل، واعلم أن سر سعادة العبد دنيا وآخرة في تعامله مع نعم الله تعالى عليه، كما جاء في محكم القرآن الكريم «فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ» (الأعراف:١٤٤).

التحرير

إدارة التحرير || ٨ شارع قولة عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
المركز العام || WWW.ANSARALSONNA.COM هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
البريد الإلكتروني || MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير || GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات || ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ || ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية ACP

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط



سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي



الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

في هذا العدد

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

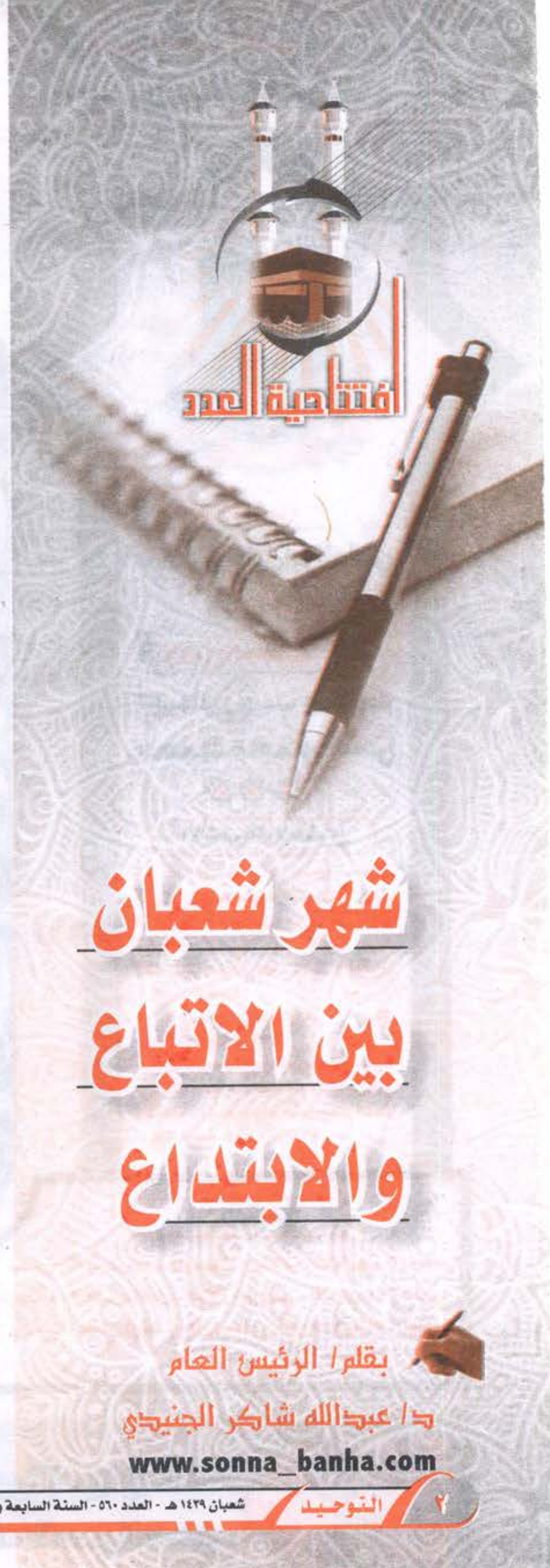
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع



شهر شعبان بين الاتباع والابتداع

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، والصلاة والسلام على من كان لله عبدًا شكورًا، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فإن شهر شعبان من الأشهر التي كان يكثر النبي صلى الله عليه وسلم فيه من الصيام، وقد أدخل بعض الناس فيه أعمالاً مخصوصة لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا فإني رأيت أن أبيّن في هذا المقال ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان، وما أحدثه الناس فيه، فأقول وبالله التوفيق:

ثبت في بعض الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر الصيام في شهر شعبان، كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ». (البخاري: ١٩٦٩، ومسلم: ١١٥٦).

فهذا الحديث دلّ على أمرين: الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصم شهرًا كاملاً إلا رمضان، والثاني: أنه كان يكثر الصيام في شعبان، وقد ذكر العلماء أقوالاً كثيرة في إكثار النبي صلى الله عليه وسلم من الصيام في شعبان.

وقد رجح ابن حجر رحمه الله أن العلة في ذلك مذكورة في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وفيه يقول: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان. قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان». وهذا الحديث أخرجه النسائي وأبو داود، وصححه ابن خزيمة، وانظر: فتح الباري (٤/٢١٥).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّه الْمُحَرَّمُ». وهذا الحديث فيه تصريح بأن أفضل الشهور للصوم بعد رمضان شهر الله المحرم، فكيف أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من الصيام في شهر شعبان؟

وقد أجاب النووي رحمه الله على ذلك بقوله: «لعله لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر حياته قبل التمكن من صومه، أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه، كسفر ومرض وغيرهما، والحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم كثيرًا في شعبان، كما

هو واضح من الحديث، وهذا هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يصمه ولا غيره كاملاً، كما يفعل بعض الناس اليوم، وقد أشارت أم المؤمنين عائشة في حديثها السابق إلى ذلك، وقد وردت أحاديث أخرى لم تصح في شهر شعبان، وأرى أن أشير إلى بعضها هنا، كحديث: «رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي»، وقد حكم عليه ابن حجر بالوضع، انظر «تبيين العجب بما ورد في فضل رجب» (ص١١٣)، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٠٥/٢).

وكحديث: «من صلى ليلة النصف من شعبان ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة: «قل هو الله أحد» ثلاثين مرة، لم يخرج حتى يرى مقعده من الجنة»، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢٩/٢)، والسيوطي في اللالئ المصنوعة (٥٩/٢)، وحكما عليه بالوضع.

وقد ذهب بعض العلماء إلى تفضيل ليلة النصف من شعبان على غيرها من ليالي الشهر، وذكروا أنها الليلة التي نزل فيها القرآن، وهو قول مرجوح، وقد ذكر ابن جرير رحمه الله الخلاف في ذلك، ثم قال: «الصواب في ذلك قول من قال: عُنيَ بها ليلة القدر». (تفسير الطبري ٦٤/٢٥).

ومن المعلوم أن ليلة القدر في رمضان، وقد بيّن الشيخ الشنقيطي رحمه الله ذلك عند تفسير قوله تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ» (الدخان:٣)، فقال: «وقد بيّن الله تعالى أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، التي أنزل فيها القرآن من شهر رمضان، فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة وغيره، لا شك أنها دعوة باطلة؛ لمخالفتها النص القرآني الصريح، ولا شك كل ما خالف الحق فهو باطل، والأحاديث التي يوردها بعضهم في أنها من شعبان المخالفة لصريح القرآن لا أساس لها، ولا يصح سند شيء منها، كما جزم به ابن العربي، وغير واحد من المحققين، فالعجب كل العجب من مسلم يخالف نص القرآن الصريح، بلا مستند كتاب ولا سنة صحيحة». (أضواء البيان: ٣١٩/٧).

أحاديث غير صحيحة في فضل شعبان:

وقد وردت أحاديث في فضل ليلة النصف من شعبان لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك كحديث: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر لي فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا، حتى يطلع الفجر». (رواه ابن ماجه حديث: ١٣٨٨، وقال البوصيري في الزوائد: «إسناده ضعيف؛ لضعف ابن أبي سبرة، قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين: يضع الحديث». سنن ابن ماجه (٤٤٤/١).

وكحديث: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن». رواه ابن ماجه (١٣٩٠)، وقال البوصيري في الزوائد: إسناد ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة وتدليس الوليد بن مسلم، انظر: سنن ابن ماجه (٤٤٥/١)، وقد حسَّن بعض أهل العلم هذا الحديث، وعلى فرض تحسينه؛ فليس فيه دليل على تخصيص ليلة النصف من شعبان على غيرها بسبب ذلك، لما جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». (البخاري: ١١٤٥، ومسلم: ٧٥٨)، فاطلاعه سبحانه على خلقه في كل ليلة، وليس متوقفًا على ليلة معينة لتخص بالفضل دون غيرها، وقد صرح بعض أهل العلم بعدم تفضيلها على غيرها.

قال أبو شامة: «قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتاب ما جاء في شهر رمضان- قال أهل التعديل والتجريح: ليس في فضل ليلة النصف من شعبان حديث صحيح». (الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٣٣).

وذكر ابن رجب عن بعض أهل العلم أن قيام ليلة



النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء الشام». (لطائف المعارف ص٢٠٠).

وقال الشيخ علي محفوظ: «ومن البدع الفاشية في الناس: احتفال المسلمين في المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب يقرؤونه بأصوات مرتفعة بتلقين الإمام؛ فإن إحياءها بذلك على الهيئة المعروفة لم يكن في عهد رسول الله-صلوات الله وسلامه عليه- ولا في عهد الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-".

وقال أيضاً: "وجملة القول أن كل الأحاديث الواردة في ليلة النصف من شعبان دائر أمرها بين الوضع والضعف وعدم الصحة». (الإبداع ص٢٨٦، ٢٨٧).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: «وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها، وأما ما ورد في فضل الصلاة فيها؛ فكله موضوع كما نبَّه على ذلك كثير من أهل العلم». (التحذير من البدع ص١١).

وقد ذكر ابن رجب رحمه الله أن بعض التابعين هم أحدثوا تعظيم ليلة النصف من شعبان، وقد أنكر عليهم غيرهم ذلك، وهذا نص كلامه: « وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل أنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك؛ فمنهم من قبله منهم وافقهم على تعظيمها منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم، وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز، منهم عطاء وابن أبي مليكة، ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم وقالوا: ذلك كله بدعة». (لطائف المعارف ص١٩٩، ٢٠٠).

وهذا النص الواضح الصريح يبين لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يخصوا ليلة النصف من شعبان بصلاة ولا يومها بصيام، ومن المعلوم أن العبادات توقيفية على الوحي الإلهي من كتاب وسنة، ولم يرد شيء من ذلك، فلا يجوز تخصيصها بعبادة، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله - كما سبقت الإشارة إلى ذلك- أن بعض التابعين هم الذين اجتهدوا فيها ورأوا فيها فضلاً، وأن غيرهم خالفهم فيها، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، ولو كان لها فضل على غيرها لأرشدنا إلى ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، وعليه أقول: إن ما يفعله بعض الناس في هذه الليلة من الاجتماع في المساجد، والدعاء الذي يؤدونه ليلتها، كل هذا من البدع، ولم يثبت شيء من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما أحدث الناس من بدع منكرة في ليلة النصف من شعبان ما يعرف بالصلاة الألفية، وأول من أحدثها رجل يعرف بابن أبي الحمراء من أهل نابلس، قام وصلاها في المسجد الأقصى، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري، وسميت بالألفية لقراءة سورة الإخلاص فيها ألف مرة، وذلك في مائة ركعة، يقرأ في كل ركعة سورة الإخلاص عشر مرات. (انظر الحوادث والبدع للطرطوشي ص١٢١).

وقد رويت صفة هذه الصلاة، والأجر المترتب على أدائها من طرق كلها موضوعة، قال ابن الجوزي بعد أن ذكر حديثها: «هذا حديث لا نشك أنه موضوع، وجمهور رواته في الطرق الثلاثة مجاهيل وفيهم ضعفاء بمرة، والحديث محال قطعًا». (الموضوعات ١٢٧/٢).

وقال النووي رحمه الله: «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي ثنتا عشرة ركعة تصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، وهاتان الصلاتان بدعتان ومنكران قبيحان، ولا يغتر بذكرها في كتاب قوت القلوب وإحياء علوم الدين». (المجموع شرح المهذب ٥٦/٤).

وقال ابن تيمية: «وكذلك ما قَدْ أحدث الناس في ليلة النصف من الاجتماع العام للصلاة الألفية، فإن الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوع باتفاق أهل الحديث». (اقتضاء الصراط المستقيم ٦٢٨/٢).

وبناءً على ما سبق ذكره من أدلة وأقوال أهل العلم أدعو عموم المسلمين إلى الاقتصار على المشروع وعدم الزيادة في دين رب العالمين، والحمد لله رب العالمين.







بقلم رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

اليهود ومجزرة يوم الأرض



الحمد لله، هو حسبي ونعم الوكيل، وبعدُ:

فما أسرع الأيام في طيِّنا، تمضي علينا ثم تمضي بنا، في كل يوم أملٌ قد نأى، مَرامُهُ عن أجل قدْ دَنا، والأملُ طويل، والثواء قليل، وآمالٌ إلى اضمحلال، عامٌ يُبلي عامًا، وأيامًا تطوي أيامًا.

عشرات الآلاف من الفلسطينيين يحتشدون يوم ٣٠ مارس في ذكرى شعبية كل عام فيما يُعرف بيوم الأرض، قابلَها جيشُ الاحتلال بقوة غاشمة، نتج عنها عشرات الشهداء، ومئات الجرحى في مجزرة مروعة، وصمت دولي مخزٍ لما يقع على مدار جمعتين متتاليتين للمظاهرات السلمية التي خرجت على طول الحدود بين قطاع غزة والأراضي الفلسطينية المحتلة، خلال إحياء الفلسطينيين للذكرى الـ٤٢ ليوم الأرض الفلسطيني، والذي يُسلِّط الضوء في ٣٠ مارس من كل عام على احتلال إسرائيل ومصادرتها للأراضي الفلسطينية، ومطالبتهم بحق العودة للاجئين من فلسطينيي الشتات من عام ١٩٤٨م.

ولقد استعمل اليهود ضدهم كل أنواع الأسلحة الحية والغازات الخانقة، فيما فشل مجلس الأمن في إصدار بيان يدين فيه تلك المجازر ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، وسط حماية الفيتو الأمريكي لعدم صدور قرار ضد إسرائيل، ويزداد التبجح الإسرائيلي وهو ينتهك كل القرارات الدولية الصادرة، ويضرب بها عرض الحائط؛ فتتقدم إسرائيل للترشح لعضوية مجلس الأمن، وهي ترتكب المجازر ضد الشعب الفلسطيني، والعالم الإسلامي مُنشغل عنهم ويوم للعقاب لمسلمي بريطانيا، ومنع الأذان في الحرم الإبراهيمي ومساجد المسلمين في الأراضي المحتلة، وإلى الله المشتكى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



تجاهل دولي للمجازر التي يتعرض لها الفلسطينيون

ما أشبه الليلة بالبارحة! عشرات المجازر ارتكبها اليهود بحق مدنيين عُزَّل مع موت الضمير العالمي إثر كل هذه الجرائم بحق الإنسانية، وأغمض عينيه عن المذابح التي ارتكبوها، ومما نتذكره من هذه المذابح: مذبحة ارتكبتها إسرائيل بدم بارد وقتلت ثلاثين طفلاً فيما سُمِّي بـ «مذبحة مدرسة بحر البقر»، ففي صباح يوم الأربعاء الموافق ٨ أبريل عام ١٩٧٠م قصفت طائرات الفانتوم الإسرائيلية مدرسة بحر البقر الابتدائية، والتي تقع بمركز الحسينية بمحافظة الشرقية بخمس قنابل وصاروخين؛ فاستُشهد نحو ثلاثين طفلاً، وأصيب أكثر من خمسين آخرين بجروح وإصابات بالغة.

ومنذ ٣٠ مارس الماضي بدأ الفلسطينيون حركة احتجاجية أطلق عليها مسيرة يوم العودة بالتزامن مع يوم الأرض، وستُختتم بذكرى النكبة في ١٥ مايو المقبل للمطالبة بتفعيل حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ورفع الحصار الإسرائيلي عن قطاع غزة.

وقد احتشد عشرات الآلاف من الفلسطينيين على طول السياج الحدودي الممتد بطول ٦٥ كم، حيث نصبت الخيام لاحتجاجات يعتزم الفلسطينيون أن تستمر لستة أسابيع للمطالبة بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين، ورفع الحصار الإسرائيلي عن قطاع غزة؛ فتصدى لهم جنود العدو الصهيوني المدججين بالأسلحة مرتكبين مجزرة أخرى يأبى صناع التاريخ المزيف من مناصري اليهود وداعموهم في أمريكا وبريطانيا أن يسجلوا تلك المجازر بقرارات «هي حبر على ورق» من المنظمات الدولية، وتعرقل أمريكا قرارًا بالإدانة، وتشكيل لجنة تحقيق مستقلة في المجزرة التي ارتكبها جنود الجيش الإسرائيلي ضد المتظاهرين العُزَّل؛ فقد سقط ما يزيد على عشرين فلسطينيًّا، وجُرِحَ ما يزيد على الألفين، ويقف مجلس الأمن عاجزًا عن إصدار قرار لم يكن ليتردد كثيرًا في تحريك الجيوش تحت البند السابع لشنّ حروب في عدة دول عربية وإسلامية، اعتمادًا على شُبه واتهامات باطلة وكذب وافتراءات، ولم يحرك ساكنًا لتجاوزه من قبل الكبار والمستعمرين الجُدد، حين دمروا العراق وأفغانستان، وسوريا التي تشهد مواقع إنزال لجيوش العالم يقسمون الأرض، وينهبون الثروات، ويحتلون المواقع كلٌّ حسب مصالحه، دون تكليف خاطرهم باستصدار قرار منه قبل إقلاع طائراتهم، وانطلاق صواريخهم لتسوية ما على الأرض بها لمجرد شائعة يتبين كذبها.

والصهاينة عندما وجَّهُوا نيرانهم الحية تجاه صدور الفلسطينيين العُزَّل كان لديهم كل الأضواء إلا الضوء الأحمر قبل ارتكاب تلك المجازر في حق الفلسطينيين، ويعلمون أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون طالما بقي الفيتو الأمريكي والمساندة الكاملة من بريطانيا صاحبة وعد بلفور، وهم يعلمون جيدًا علم اليقين انشغال العرب والمسلمين بما أفاضوا عليهم من محَن ومؤامرات في معظم ديار المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الاحتلال يمنع الأذان في الحرم الإبراهيمي

وقد منعت سلطات الاحتلال الإسرائيلي رفع الأذان في المسجد الإبراهيمي ٥٣ مرة خلال الشهر الماضي، وقد منعت رفع الأذان خلال عام ٢٠١٧م (٦٤٥) مرة منتهكين بذلك حُرمة المسجد الشريف، ومتعدين على حرية المسلمين بإقامة شعائرهم الدينية، وخطورة بسط السيطرة الغاشمة للمستوطنين والمغتصبين لممارسة اعتداءاتهم على المدينة، والاعتداء على حرمات المسجد الأقصى والأماكن الدينية المسيحية في المدينة، وضرورة وقوف الفلسطينيين ضد اعتداءات اليهود على المسجدين الأقصى والإبراهيمي.

وينص القرار على حظر استعمال مكبرات الصوت أو رفع الأذان عبر مكبرات الصوت بالمساجد بين الساعة الحادية عشرة ليلاً حتى السابعة صباحًا.

التبجح الإسرائيلي ونيتهم الترشح لعضوية مجلس الأمن

أعلنت إسرائيل عن رغبتها في نَيْل عضوية مجلس الأمن في الفترة من ٢٠١٨- ٢٠١٩م منذ عام ٢٠٠٠م.

وكانت جامعة الدول العربية قد شكَّلت لجنة عربية خماسية للتصدي لمحاولة إسرائيل نيل عضوية غير دائمة في مجلس الأمن الدولي يترأسها الأمين العام لجامعة الدول العربية، وتضم في عضويتها ممثلين عن مصر والأردن وفلسطين وجيبوتي.

وقد جاء الفيتو الأمريكي الذي استخدمته أمريكا مرتين خلال أسبوع في وجه أعضاء مجلس الأمن ١٤ عضوًا الرافضين لقرار ترامب، بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونقل السفارة الأمريكية إليها

أبرز دليل على رفض غالبية دول العالم لمخالفة أمريكا وإسرائيل للشرائع والقوانين الدولية، وأن الجانب الفلسطيني سيطالب بتوفير الحماية للشعب الفلسطيني، وكذلك إقرار العضوية الكاملة في مجلس الأمن، وضرورة أن يكون هناك جهود مكثفة لمنع إسرائيل من الحصول على عضوية مجلس الأمن، أو الحصول على أصوات الدول الإفريقية، والتصدي لعقد القمة الإفريقية الإسرائيلية في توجو الشهر القادم.

ومنذ عام ٢٠٠٠م تحاول إسرائيل الحصول على مقعد بالمجلس الأممي، فيما يتطلب حصولها على أحد المقاعد المؤقتة في المجلس تصويت ثلثي أعضاء الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة والبالغ عددهم ١٩٣ دولة.

وحقًا إن لم تستح فافعل ما شئت! فها هي إسرائيل، ومن خلفها أمريكا، وقد ضربا عرض الحائط بكل القوانين الدولية الصادرة من مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة، والمنظمات الدولية الأخرى، فكيف يمكن أن تكون هي عضوًا في تلك المنظمة التي تنتهك كل القرارات الصادرة عنها؟!

يوم عقاب المسلمين في بريطانيا

ومع زيادة الكراهية للإسلام والمسلمين في بريطانيا، ومنذ منتصف الشهر الماضي تكشف العنصرية الغربية عن أنيابها، وفي مظاريف بيضاء مع طوابع من الدرجة الثانية، يتسلم عدد كبير من سكان مناطق لندن وبرمنجهام وبرادفورد، وليستر كارديف، وسيفيلد رسائل مجهولة المصدر تدعو لجعل يوم ٣ أبريل يوم معاقبة المسلمين، وللأسبوع الثاني على التوالي تتناقل وسائل التواصل الاجتماعي رسالة كراهية مرعبة بمحتواها الذي ينطوي على أسوأ أنواع العنف تجاه المسلمين في بريطانيا.

وقد تفاجأ عددٌ من المسلمين المقيمين في بريطانيا منذ منتصف الشهر الماضي برسائل تهديد مجهولة المصدر، ولكنها من نوع مختلف عن العادة هذه المرة، لدرجة أثارت الهلع والخوف في أنحاء البلاد، وجعلت الشرطة البريطانية تفتح تحقيقًا موسعًا تابعًا لشرطة مكافحة الإرهاب.

وكانت الرسائل تدعو المواطنين البريطانيين إلى القيام بأعمال عنف وشنّ هجمات ضد المسلمين في كل أنحاء بريطانيا، وذلك يوم ٣ أبريل، بل تتعهد بمكافآت لمن يقوم بذلك، وحددت الرسائل التي لم يُعرف مصدرها بعدُ عددًا من الاعتداءات التي يمكن للشخص أن يقوم بها ضد ضحيته المسلم، والتي تتراوح بين السب اللفظي وحرق المساجد، وتقدم نظامًا لتسجيل للنقاط معلنة مكافأة مالية متصاعدة وفقًا لدرجة الاعتداء وعدد النقاط، حيث يحصل المعتدي على عشر نقاط مقابل الاعتداء اللفظي، وخمسة وعشرين نقطة مقابل نزع حجاب امرأة مسلمة، وخمسون نقطة مقابل إلقاء مادة الأسيد الحارقة على الوجه، ومائة نقطة مقابل الضرب المبرح، ومئتان وخمسون نقطة مقابل تعذيب بالصعق الكهربي أو السلخ، وخمسمائة نقطة مقابل القتل بمسدس أو سكين أو الدهس بالسيارة، وألف نقطة لتفجير أو حرق مسجد، وألفان وخمسمائة نقطة لضرب مكة بقنبلة نووية.

ومن الواضح أن الرسالة تهاجم سياسات بريطانيا ودول أوروبا في التعامل مع المهاجرين والأقليات المسلمة؛ حيث جاء في نص الرسالة: «إنهم آذوك وجعلوا من تحبهم يعانون، إنهم سببوا لك الألم، ماذا ستفعل إزاء ذلك؟ هل أنت خروف مثل الغالبية العظمى من السكان؟ إنهم يسمحون للأمم ذات الأغلبية البيضاء في أوروبا وأمريكا الشمالية، بأن يتم غزوها واجتياحها من قبل أولئك الذين لا يريدون أكثر من إيذائنا، وتحويل ديمقراطياتنا إلى دول بوليسية تحكمها الشريعة، أنت فقط من يستطيع تغيير كل هذا، أنت فقط من يمتلك السلطة والقوة، فلا تكن خروفًا».

ومع صعود تيار اليمين المتطرف في أوروبا انتشرت ظاهرة العداء للإسلام والمسلمين في الدول الغربية، وذلك عبر ترويج خطاب معاد للإسلام والمسلمين في تلك الدول بما يعود بآثار سلبية على الوجود الإسلامي هناك؛ حيث إن اليمن المتطرف يرى في معاداة الأجانب والمسلمين نقطة قوة تُضاف لصالحه في منافساته للوصول إلى سُدة الحكم، برزت هذه الظاهرة من خلال تصويت البريطانيين على الانسحاب من الاتحاد الأوروبي، وفوز المرشح الجمهوري ترامب بتأييد من اليمين الأمريكي، كما يتوقع المحللون كذلك صعود الأحزاب اليمينية المتطرفة في عدد من الدول الأوروبية التي تحمل



أجندات معادية للمسلمين واللاجئين المهاجرين، وسياسات معاداة المسلمين والمهاجرين هذه ليست فكرة هامشية في السياسة الغربية، بل هي موجودة عند مجموعة من نُخَب اليمين واليسار التقليدي بشكل أو بآخر، وما فعلته أحزاب اليمين الجديد أنها عبرت بشكل أكثر صراحة وفجاجة عن تلك الفكرة، وعن التعاطي الأوروبي مع الجاليات المسلمة، وفق الإرث الاستعماري، والدفاع عن هوية مسيحية أوروبا ضد التغلغل الإسلامي فيها.

وفي المقابل قام المسلمون في بريطانيا بإطلاق حملة مضادة حملت اسم «أحبَّ مسلمًا»، وذلك على مواقع التواصل الاجتماعي من أجل حشد الدعم للمسلمين وخصصوا لها شعارًا يقول: «كن شخصًا طبيعيًا، كن مميزًا، أظهر حبك للآخر».

وبنفس طريقة حملة الكراهية «عاقب مسلمًا» تمنح الحملة المضادة «أحب مسلمًا»، جوائز ومكافآت على هيئة نقاط منها ١٠ نقاط لمن يبتسم لمسلم، و(٥٠) لمن يرميه بورده، و(٥٠٠) لمن يصوم معه رمضان ويحتفل معه بعيد الفطر معه أيضًا...».

مائة وستة عشر قتيلا وجريحا في غارة على مدرسة قرآنية

وما يزال المدنيون في كل بقعة من البقاع الإسلامي يتحملون ضريبة الصراع في أفغانستان منذ الاجتياح العسكري الأمريكي في عام ٢٠٠١م، وإعلان الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش أفغانستان هدفًا رئيسًا للحرب على الإرهاب، وصدور قرارات متوالية من مجلس الأمن اتخذتها الولايات المتحدة ذريعة لشرعية الحرب في أفغانستان.

ويتعرض المدنيون في أفغانستان في كل مرة إلى هجمات إما على شكل غارات جوية من الحكومة الأفغانية بالمشاركة مع القوات الأمريكية، أو هجمات انتحارية تخلف كلها بعدد كبير من القتلى والجرحى والعزل.

وكانت آخر هذه العمليات الغارة الجوية التي نفذها الجيش الأفغاني على مدرسة في محافظة قندوز الأفغانية «شمال البلاد»، والتي راح ضحيتها عشرات القتلى والجرحى بينهم الأطفال، ومع تضارب الأقوال حول سقوط ما لا يقل عن مائة وخمسين ضحية بين قتيل وجريح أغلبهم من الأطفال المسجلين بالمدرسة القرآنية والبقية من الآثار والمدرسين، كما أن الغارة قد أودت بحياة طفل كان قد حصل على جائزة أفضل حافظ للقرآن الكريم خلال السنة الماضية، وكل ما اقترفوه أنهم مسلمون!!

هل من أمل في أن يلتئم المسلمون في القمة العربية قبل فوات الأوان

تنعقد خلال ساعات القمة العربية التاسعة والعشرون في المملكة العربية السعودية، والتي تعقد وسط تحديات كبيرة تواجه المنطقة، وتهدد أمنها الإقليمي والقومي، وسوف يتم مناقشة عدد من الملفات المهمة تتصدرها القضية الفلسطينية والأزمات الطاحنة في سوريا وليبيا واليمن، والتدخلات الإيرانية والتركية في الشئون الداخلية للدول العربية، ومكافحة الإرهاب بالإضافة إلى القضايا الاقتصادية والاجتماعية.

ونحن نرفع أكف الضراعة إلى المولى سبحانه سائلين التوفيق والسداد لقادة الدول العربية، وأن يتبنوا المواقف التي من شأنها تمكين الدول العربية من التصدي للتحديات والتهديدات الراهنة، وخاصة القضية الفلسطينية على جدول القمة العربية في الدمام، وذلك في ضوء التصعيد الإسرائيلي الأخير في غزة وقرار ترامب بشأن القدس واعتزامه نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، ومسألة إطلاق الصواريخ البالستية الإيرانية الصنع من قبل الحوثيين على الأراضي السعودية.

وفي خضم الخلافات السياسية الدائرة في بلاد المسلمين، وفي ضباب شبكات التواصل الاجتماعي التي لا يعرف مَن يكتب فيها لا مقصوده ولا حقيقته يغيب سلطان العدل، وينحرف الناس إلى التهارج بلا ضابط من شرع أو قيم فلا بد من التثبت من الأخبار وكل ماينشر لقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» (الحجرات:٦).

وأخيرًا وليس آخرًا نقول: «قصِّروا الأمل، وأصلحوا العمل، وحاذروا بغتة الأجل، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له».

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يردنا إلى دينه ردًّا جميلًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سورة محمد ﷺ





إعداد: د. عبدالعظيم بدوي

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥).

لمَّا فرغ من توصيف حال فريقي الإيمان والكفر، ومما أعدَّ لكليهما، ومن إعلان تباين حاليهما ثَنَى العنانَ إلى بيان ما في الجنة التي وُعِد المتقون، وخصَّ من ذلك بيان أنواع الأنهار، ولمَّا كان ذلك موقع الجملة كان قوله: «مَثَل الجنَّة» مُبتدأ محذوف الخبر. والتقدير: ما سيوصف أو ما سيُتلى عليكم، أو ممَّا يُتلى عليكم.

«فيها أنهارٌ من ماء غير آسن» يعني غير متغيِّر، «طعمُه وأنهارٌ». أي: بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة، «وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين» أي ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا، حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ (الصافات: ٤٧)، ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: ١٩)، ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ (الصافات: ٤٦). «وأنهارٌ من عسل مُصفَّى» أي: وهو في غاية الصفاء وحُسن اللون والطعم والريح. (تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١٧٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سألتُمُ الله فاسألوه الفردوس، فإنَّه أوسط الجنة، وأعلى الجنَّة، فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّرُ أنهارُ الجنَّة». (صحيح البخاري ٢٧٩٠)

وعن حكيم بن مُعاوية عن أبيه رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ في الجنَّة بحرَ الماء، وبحرَ العسل، وبحرَ اللبن، وبحرَ الخمر، ثمَّ تُشقَّقُ الأنهارُ بعدُ» (صحيح سنن الترمذي ٢٥٧١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لعلَّكم تظنُّون أنَّ أنهارَ الجنَّة أخدودٌ في الأرض؟ لا والله، إنَّها لسائحةٌ على وجه الأرض، إحدى حافَّتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوت، وطينُه المسكُ الأذفر. قال: قلتُ: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط فيه» (صحيح الترغيب: ٣٧٢٣).

ومن أنهار الجنة نهر الكوثر:

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكوثرُ نهرٌ في الجنَّة حافَّتاه من ذهب، ومجراه على الدُّرِّ والياقوت تُربتُه أطيبُ من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيضُ من الثلج». (صحيح الترمذي: ٣٣٦١).

فلما ذكر سبحانه ألوان الشراب أتبعه بذكر ألوان الطعام، ولمَّا كان الأكل في الجنة

لِلذَّة لا لِلْحَاجَة ذِكْرَ الثِّمارِ، فإنَّها تُؤكَلُ للذَّة بِخِلافِ الْخُبْزِ وَاللَّحم، فقال: «وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ»، وقال تعالى: « أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ » (الصافات: ٤١- ٤٢)، فسر الرزق المعلوم بالفواكه، وهي عبارة عمَّا يُؤكَل لأجْل التَّلَذُّذ لا لأجْل الحاجة، وأرزاق أهل الجنة كلها فواكه لأنَّهم مُستغنون عن حفظ الصِّحَّة بالأقوات، فإنَّهم أجسام مُحْكَمَة مخلوقة للأبد، فكلُّ ما يأكلونه فهو على سبيل التلذذ. (الكشاف: ٤/ ٤٢).

وقد كثر في القرآن الكريم الحديث عن فواكه الجنة:

قال تعالى: « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ » (المرسلات: ٤١- ٤٢)، وقال تعالى: « هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٩) جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ » (ص: ٤٩- ٥١)، وقال تعالى: « وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ » (البقرة: ٢٥)، وقال تعالى: « إِنَّ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ » (يس: ٥٥- ٥٦).

عَنْ عُتْبَةَ بن عَبْد قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: مَا حَوْضُكَ الَّذِي تَحَدَّثُ عَنْهُ؟ فَقَالَ: هُوَ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى بُصْرَى، ثُمَّ يُمِدُّنِي اللَّه فيه بِكُرَاعٍ، لا يَدْرِي بَشَرٌ مِمَّنْ خُلِقَ أَيَّ طَرَفَيْهِ. فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّه! فِيهَا فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: «نَعَم، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى، هِيَ تُطَابِقُ الفِرْدَوْسَ. فَقَالَ: أَيُّ شَجَرِ أَرْضِنَا تُشْبِهُ؟ قَالَ: لَيْسَ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ، وَلَكِنْ أَتَيْتَ الشَّامَ؟ قَالَ: لا يَا رَسُولَ اللَّه! قَالَ: فَإِنَّهَا تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَى (الْجَوْزَة)، تُنْبَتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَنْتَشِرُ أَعْلاهَا. قَالَ: فَمَا عِظَمُ أَصْلِهَا؟ قَالَ: لَوْ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ، لَمَا قَطَعَتْهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَمًا. قَالَ فيها عِنَبٌ؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ مِنْهَا؟ قَالَ: مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الأَبْقَعِ، لا يَقَعُ وَلا يَنْثَنِي وَلا يَفْتُرُ. قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْحَبَّةِ مِنْهُ؟ قَالَ: هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ مِنْ غَنَمِهِ تَيْسًا عَظِيمًا؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: فَسَلَخَ إِهَابَهُ، فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ؟ فَقَالَ: ادْبُغِي هَذَا، ثُمَّ افْرِي لَنَا مِنْهُ ذَنُوبًا نَرْوِي بِهِ مَاشِيَتَنَا؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ تُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ». (صحيح الترغيب: ٣٧٢٩).

ولذلك لَمَّا قَامَ صلى الله عليه وسلم لصَلاة الكُسُوف عُرِضَتْ عليه الجنَّةُ فتقدَّمَ ثُمَّ تأخَّر، فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّه! رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مُقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ، قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا». (صحيح البخاري ١٠٥٢).

وقوله تعالى: «وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ»: أَيْ: وَلَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كُلِّه مَغْفِرَةٌ عَظِيمَةٌ كَائِنَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ. وَتَنْكِيرُ مَغْفِرَةٌ لِلتَّعْظِيم. (فتح القدير للشوكاني ٥/ ٤٢).

وَقَدْ تَكُونُ الْمَغْفِرَةُ كِنَايَةً عَنِ الرِّضْوَانِ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبة: ٧٢). (التحرير والتنوير: ٢٦/٩٧).

وقوله تعالى: «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ»: أَيْ مَنْ كَانَ فِي هَذَا النَّعِيم «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» أبدًا «كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» (الحج: ٣٢)، «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا» شديد الحر، تسعر عليه جهنَّم مُنْذُ خُلِقَتْ، إذا أُدْنِي منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم، فإذا شربوه «فقطع أمعاءهم» فخرجت من أدبارهم. (معالم التنزيل (٥/١٥٦) بزيادة).

وللحديث بقية إن شاء الله

باب الاقتصاد الإسلامي

موقف الاقتصاد الإسلامي من مشكلة غسل الأموال

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من الأخطار التي تهدد حياة الأمم والشعوب: استشراء الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وكذلك الفساد الجلي والخفي، ومن صوره المعاصرة في مجال المال والاقتصاد ما يسمى بغسل الأموال القذرة المكتسبة من الاعتداء على الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وأدت إلى محق البركات، وهدم القيم والأخلاق وطغيان النظم والحكومات، وأودت بكثير من الدول إلى الهلاك.

ولقد أثيرت العديد من التساؤلات حول: حكم الإسلام في مسألة غسل الأموال القذرة وسبل التخلص منها، ولقد عُقدت مؤتمرات ونظمت ندوات في كثير من بلدان العالم حول هذا الموضوع، كما قامت جامعة الأزهر الشريف بتنظيم عدة حلقات نقاشية حول نفس الموضوع بعنوان "التوبة من المال الحرام".

وسوف نتناول هذه المسألة بإيجاز في ضوء أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية مع التركيز على النقاط الآتية:

إعداد: أ.د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

معنى غسل الأموال القذرة:

- يرى الدكتور حمدي عبد العظيم في كتابه القيم: "غسيل الأموال في مصر والعالم الإسلامي" أن إشكالية عمليات غسيل الأموال تتم من خلال تصرفات أو معاملات يترتب عليها اختفاء الصفة، أو انتفاء الصلة بالمصدر غير المشروع لهذه الأموال، والتي تأخذ دورتها العادية في تيار الدخل القومي بعد ذلك.

- ويصف الدكتور محمد عبد الحليم عمر عملية غسل الأموال على النحو التالي: "إن مصطلح غسيل الأموال الذي ظهر على الساحة الاقتصادية الآن يعني القيام بتصرفات مالية مشروعة لمال اكتُسب بطرق غير مشروعة عن طريق استخدامه ولمرات عديدة، وفي جهات مختلفة وبأساليب عدة في وقت قصير في الاستثمار في أعمال مشروعة؛ مثل الإيداع في بنوك خارجية وإدخاله بطريقة مشروعة إلى البلاد، أو محاولة إخراجه من البلاد بطريقة مشروعة عن طريق التحويلات الخارجية أو تدويره في شراء عقارات، ثم رهنها والاقتراض بضمانها أو تداول المال في البورصات المحلية والعالمية، أو إنشاء شركات وهمية، وإثبات عمليات مزورة باسمها بهذا المال؛ وذلك كله من أجل إخفاء المصدر غير المشروع للأموال وتضليل الأجهزة الرقابية والأمنية للإفلات من العقوبات المقررة عن الجرائم الاقتصادية التي ارتكبها".

- ويعبر عنها الدكتور عبد القادر العطير وهو من رجال البنوك والمصارف بأن عمليات غسل الأموال ترتبط إلى حد كبير بأنشطة غير مشروعة عادة ما تكون هاربة خارج حدود سريان القوانين المناهضة للفساد المالي، ثم تحاول العودة مرة أخرى بصفة شرعية معترف بها من قبل نفس القوانين التي كانت تجرمها داخل الحدود الإقليمية التي تسري عليها هذه القوانين.

وخلاصة أقوال علماء المال والاقتصاد: أن غسل الأموال معناه استخدام حيل وطرق ووسائل للتصرف في أموال مكتسبة بطرق غير مشروعة وغير قانونية لإضفاء الشرعية

والقانونية عليها، وذلك من خلال انطوائها (إخفائها) في المعاملات التقليدية من بيع وشراء وصرف وتداول وتحويلات، ونحو ذلك.

مصادر كسب الأموال القذرة:

تنشأ قذارة تلك الأموال من أنها اكتُسبت من مصادر غير مشروعة يجرم مكتسبها أمام القانون، ويحاول أن يلبسها لباسًا شرعيًا ليفلت من العقاب، وينجو بالمال القذر.

ومن أهم الأنشطة التي تأتي منها الأموال القذرة ما يلي:

- أنشطة الاتجار في السلع والخدمات غير المشروعة مثل: المخدرات والبغاء والدعارة والرقيق الأبيض وما في حكم ذلك.
- أنشطة التهريب عبر الحدود للسلع والمنتجات المستوردة للتهرب من الرسوم والضرائب المقررة.
- أنشطة تهريب السلاح وبيعه إلى البلاد والدول وبيعه بأسعار باهظة للعصابات.
- أنشطة السوق السوداء في السلع والعملات التي تعاني البلاد من نقص شديد فيها، مستغلين حاجة الناس.
- أنشطة الرشوة والتربح من الوظائف العامة من خلال الحصول على دخول غير مشروعة مقابل إعطاء التراخيص والموافقات الحكومية وترسية العطاءات.
- أنشطة التربح من خلال الوساطة في قضاء مصالح الناس نظير إتاوات ومكوس.
- أنشطة استغلال المناصب الحساسة في الدولة لفرض إتاوات على بعض الناس أو التستر على بعض الجرائم.
- عمولات ومكافآت أنشطة الجاسوسية الدولية والمحلية للإضرار بالبلاد والشعوب.
- الأموال المكتسبة من السرقات والاختلاسات والرشاوى والنصب، وتهريبها إلى الخارج ثم عودتها بطريقة مشروعة.
- الأموال المكتسبة من الغشّ التجاري بكافة صوره، أو الاتجار في السلع الفاسدة، أو تزوير الكتب والمصنفات ومنتجات الإبداع الفكري.
- الأموال المكتسبة من تزوير النقود المصرفية وما في حكمها بالتعاون مع عصابات عالمية ومحلية.
- الأموال المكتسبة من المضاربات غير المشروعة في أسواق الأموال، والتي تعتمد على الإشاعات الكاذبة والتدليس والغرر والجهالة والمقامرة.
- سرقة السلع التموينية المتسربة من نظام الدعم السلعي.
- التواطؤ في بيع الملكية العامة (الخصخصة) بثمن بخس نظير عمولات وإكراميات.
- الأموال المكتسبة نظير التستر على بعض جرائم الأفراد في حق الوطن.
- التستر خلف الدين للتكسب المادي بغير حق مثل قيام بعض الجهات بجمع الأموال باسم الأعمال الخيرية والاستيلاء عليها.

حيل وطرق غسيل الأموال القذرة:

تمر عملية غسيل الأموال القذرة بثلاث مراحل أساسية كما يلي:

المرحلة الأولى: حيث يقوم أصحاب الأموال القذرة بإيداعها في البنوك سواء في الداخل أو في الخارج.

المرحلة الثانية: حيث يقوم أصحاب الأموال القذرة بعمليات مصرفية من سحب وإيداع وتحويل ونحو ذلك لأغراض التجهيل والتعتيم على المصدر غير المشروع، وذلك لتضليل الأجهزة الرقابية والأمنية.

المرحلة الثالثة: حيث يتم اندماج الأموال القذرة مع الأموال الأخرى من خلال خلطها معاً، بحيث تبدو كلها أموالاً مشروعة تماماً وناتجة عن أنشطة اقتصادية مشروعة.

ومن الحيل والطرق والتصرفات التي تحدث خلال مراحل الغسيل ما يلي:

- إيداع الأموال في البنوك ثم سحبها وشراء أوراق مالية من البورصة ثم بيع تلك الأوراق مرة أخرى ثم سحب الأموال.
- إيداع الأموال في البنوك ثم سحبها لتأسيس شركات وهمية، ثم تصفية هذه الشركات، وأخذ الأموال.



- إيـداع الأموال في البنوك ثـم سحبها لشراء عقارات وأراض ثم بيعها.

- إيـداع الأموال في البنوك في صـورة ودائع أو شهادات استثمار ثم الاقتراض بضمانها.

حكم غسل الأموال القذرة في ضوء الشريعة الإسلامية:

لقـد حرمـت الشريعـة الإسلاميـة مصـادر الأمـوال القـذرة، وحيـل غسلها، لأنها تقع تحت كبائـر الذنـوب التـي تمحـق الأرزاق وتهلك الأمم والشعـوب، ولقـد كان للإسـلام فضـل السبـق في محاربتها، فقد حرم الإسلام ما يلي:

- زراعة وصناعة وتجارة المخدرات.
- البغاء والدعارة وما في حكم ذلك.
- تجارة الرقيق.
- التهرب مـن الرسوم والضرائب وإحداث خلل في السوق.
- الرشوة والعمولات الخفية.
- التربح مـن الوظيفة ومـن عضوية المجالس النيابية.
- استغـلال المناصب الحساسـة لفرض إتاوات ومكوس.
- التجسس غـير المشـروع للإضـرار بـالأمم والشعوب.
- السرقات والاختلاسات والابتزاز.
- الغش التجاري والاتجـار في السلع الفاسدة والمحرمة.
- التزويـر في النقـود والمستنـدات والوثائـق والماركات والعلامات التجارية.
- المقامـرات في أسواق البضاعـة والمال العالمية وما في حكم ذلك من المعاملات الوهمية.
- ويضـاف إلـى ذلـك مـن منظـور الشريعـة الإسلامية الأنشطة والتجارات في الخمور، تربية الخنزيـر وبيعـه، الاتجـار في أعضـاء الجسـد، المراهنات..

كيفية التخلص من الأموال القذرة في ضوء الشريعة الإسلامية:

يطبـق على الأموال القـذرة فقه التخلص من المال الحرام، على النحو التالي:

أولاً: لا بـد مـن التوبـة الصادقـة مـن ذنـوب اكتساب الأموال القـذرة، والإيمان الجازم بأن هذا مـن الكبائر، والعـزم الأكيد على عـدم العودة إلى مثل هذه الأعمال مـرة أخرى لا في الحاضر ولا في المستقبـل، ويستغفـر الله عز وجل بنيـة خالصة وتبتُّل وتضرُّع أن يكفِّر الله عنه.

ثانيـًا: التخلص مـن الأموال القـذرة على النحو التالي:

- أمـوال قـذرة محرمـة لذاتهـا: تُنْفَـق في وجوه الخـير وليـس بنيـة التصـدق، ومثـال ذلـك الأموال المكتسبة من المخدرات والخمور.

- أمـوال قـذرة محرمـة لوصفهـا حيـث أخـذت مـن مالكهـا عنـوة أو سرًا بـدون إذن مـن مالكهـا: تُرَدُّ إلـى ملاكهـا إن وُجِـدُوا أو تنفق في وجـوه الخير إن لم يتمكن الاستـدلال عليهم، ومثال الأمـوال المسروقة والمختلسة والغش والتدليس.

- أمـوال قـذرة محرمة لوصفهـا، ولكـن اكتُسِبَتْ بطرق غـير قانونية وغير مشروعـة برضا صاحبها: ترد إلى صاحبها أو تنفق في وجوه الخير.

ويقـول بعض أهل العلـم: "إن المال الحـرام لا بد مـن أن يتصـرف فيه بأحـد تصرفات أربعـة، بحسب القسمة العقلية:

(١) أن يأخـذ هـذا المـال الحرام له أو لمـن يعوله، وهذا لا يجوز.

(٢) أن يترك المـال الحرام لأعداء الإسلام، وهذا لا يجوز.

(٣) أن يتخلص من المال الحرام بإتلافه أو حرقه، ولقد نهانا الإسلام عن ذلك.

(٤) أن يصـرف في مصـارف الخـير، أي للفقـراء والمساكـين واليتامـى وابـن السبيـل وللمؤسسـات الخيريـة الإسلاميـة الدعويـة والاجتماعية، وهذا هو الوجه المتعين.

ويؤكـد بعض أهل العلم على أن التخلُّص من المال الحرام في مصارف الخير ليس من باب الصدقة حيث يقـال: "إن الله طيـب لا يقبل إلا طيبًـا"، إنما هو من باب صرف المال الخبيث أو الحرام في مصرفه الوحيد.

وللحديـث بقيـة إن شـاء الله، والحمـد لله رب العالمين.



دخول صلاح الدين إلى القدس بعد أن فتحها الله له

الحمد لله مالك الملك يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وبعد:

فمن الأحداث الهامة في تاريخ الأمة فتح بيت المقدس على يد القائد المظفر الناصر صلاح الدين رحمه الله، وقد تسلَّم المدينة ودخلها في يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر الله الحرام رجب سنة ٥٨٣هـ الموافق ١١٨٧/١١/٢م، وهذا الحَدَث العظيم يحتاج منا أن نتحدث عنه من عدة محاور تجيب عن أسئلة مهمة: أين كانت القدس حين استردها صلاح الدين؟ وما الجهود المشكورة التي بذلها صلاح الدين حتى فتح الله على يديه القدس؟

إعداد: عبد الرزاق السيد عيد

وما الفرق بين دخول صلاح الدين إلى القدس ودخول الصليبيين إليها؟ وبصيغة أخرى ماذا فعل صلاح الدين بالقدس وأهلها حين دخلها فاتحًا منتصرًا؟ وماذا فعل الصليبيون عندما دخلوها إبَّان حملة الحروب الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة واستخلاص الثمرات والفوائد، نستعين بالله ونبدأ معكم في عدة محاور نبدؤها بما يلي:

المحور الأول: لمحة تاريخية عن القدس:

١- نبدأ هذه اللمحة التاريخية منذ بداية الفتح الإسلامي للشام، وتسلم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لمدينة القدس، والتي كانت ساعتها تحت الاحتلال الروماني، وأثناء فتوحات الشام التي انساحت فيها جيوش المسلمين تفتح مُدنها مدينة بعد أخرى، وكانت الجيوش الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، ثم أرسل إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مددًا بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وحاصر أبو عبيدة مدينة القدس بعد أن استماتت القائد الروماني أرطبون في الدفاع عنها سنة ١٥هـ.

ولما اشتد الحصار على أهل القدس أخذوا يفكرون في الصلح وخصوصًا بعد ما شاهدوه من وفاء المسلمين وعدلهم في المدن التي فتحها المسلمون حولهم، وبدأ بطريرك القدس يفاوض المسلمين راغبًا في الاستسلام مما أغضب أرطبون القائد الروماني، فترك القدس وتوجه إلى مصر، واستمرت المفاوضات بين قيادة المسلمين وبطارقة وقساوسة بيت المقدس حتى وافق أهلها وزعماؤها على التسليم والمصالحة، لكنهم اشترطوا أن الذي يتولى الصلح هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه، وأن يسلموا المدينة له شخصيًا، فكتب أبو عبيدة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما إلى عمر بذلك.

عندما وصل كتاب القائدين إلى عمر رضي الله عنه بالمدينة تشاور مع أصحابه فأشار ابن عباس بعدم خروج عمر، لكن كان رأي علي بن أبي طالب أن يذهب عمر إلى الشام ويستلم المدينة وسيفتح الله عليه،



فوافق عمر رأي عليٍ وتوجه إلى بيت المقدس واستخلف عليًا رضي الله عنه على المدينة.

سار عمر رضي الله عنه من المدينة إلى بيت المقدس هو وغلامه، على ناقة واحدة يركبها عمر وخادمه يتناوبان عليها؛ يركب أحدهما، ثم ينزل يمشي، ويقود الناقة، ويركب الآخر، وهكذا بطول المسافة من المدينة إلى فلسطين، حتى جاءت نوبة عمر رضي الله عنه عند دخول بيت المقدس وكان ماشيًا يقود الناقة لخادمه حتى جاءت في الطريق مخاضة من ماء وطين فخاضها عمر بقدميه حتى استقر الركب عند الباب فنزل إليه رئيس أساقفة بيت المقدس «صفريانوس» وبيده مفاتيح بيت المقدس، وبعد أن سلم عليه، قال له: مكتوب في كتبنا: أن صفات من يتسلم مفاتيح إيلياء «القدس» ثلاثة: ١- يأتي ماشيًا وخادمه راكب. ٢- يأتي ورجلاه ممرغتان في الوحل. ٣- يأتي وفي ثوبه سبع عشرة رقعة، وقيل: جاء في سفر زكريا من التوراة وانجيل مَتّى صفات أخرى منها الملك العادل. والله سبحانه أعلى وأعلم.

ماذا فعل عمر بأهل القدس من النصارى وغيرهم؟

لم يأمر بقتلهم ولا بإجلائهم واستحلال أموالهم وأعراضهم، بل أمَّنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وكتب لهم وثيقة بذلك تُسمى بـ «العهدة العمرية» لأهل إيلياء، وهي وثيقة مشهورة في كتب التاريخ عند المسلمين والنصارى على حد سواء.

وظلت القدس تتمتع بالمكانة والهيبة والأمن والأمان في ظل دولة الخلفاء الراشدين، ثم في الدولة الأموية وجزء كبير من الدولة العباسية حتى تطرَّق إليها الضعف في آخر حكامها، وبظهور الدولة الفاطمية والتي انتسبت كذبًا وزورًا إلى أهل البيت، وهي في الأساس دولة باطنية شيعية طعنت الخلافة العباسية في ظهرها، وتعاونت مع أعداء الله ضد أوليائه فطمع الصليبيون في العودة إلى الشرق مرة أخرى، والاستيلاء على بيت المقدس.

المحور الثاني: الحروب الصليبية واحتلال القدس من جديد:

١- البابا أوربان الثاني وإشعال نيران الحرب:

استغل البابا أوربان الثاني بعض الأحداث في ذلك الوقت وضعف الدولة العباسية وخيانة الدولة الباطنية العبيدية المسماة بالفاطمية في مصر، واستغل الأزمات والصراعات الواقعة بين الأوروبيين ليدفع بهم إلى الشرق باسم الدين.

وألقى خطبة تحريضية ضد الإسلام والمسلمين، وصفها المؤرخ الشهير (جوستاف لوبون) في كتابه «حضارة العرب» (بأنها نوبة حادة من الجنون)، وقد ألقى البابا هذه الخطبة في المجمع الديني المنعقد في جنوب فرنسا (كليرمونت) عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، وهو يجهِّز للحملة الصليبية الأولى على الشرق تحت اسم الصليب، وقد شارك فيها القساوسة جنبًا إلى جنب مع العسكريين، والكل يحمل شعار الصليب.

تحرك الصليبيون من أوروبا بعد هذه الدعوة التي وجهَّها البابا (أوربان) والتي طاف بها (بطرس الناسك) أنحاء أوروبا، فسارت جموع الأوروبيين التي وصلت إلى خمسة وعشرين ألفا في دفعتها الأولى، ورغم أنهم كانوا يسيرون في أراض أوروبية نصرانية كانوا يخربون ما يمرون به من أماكن ويقتلون الناس ويسيئون معاملتهم فقتل منهم الآلاف قبل أن يخرجوا من أوروبا بشهادة المؤرخين الأجانب منهم (وليم الصوري)، فما بالك حين يصلون إلى الشرق؟!

واتجهوا أولاً إلى أنطاكية واستطاعوا أن

يحتلوها بمساعدة الفاطميين، وأعملوا فيها القتل والنهب والسلب، ولم ينجُ من المسلمين فيها إلا قلة قليلة فأدخلوا بذلك الرعب في قلوب العباد، وخربوا البلاد.

ثم قرروا التوجه إلى هدفهم المنشود «بيت المقدس»، وفي الطريق إليها استولوا على العديد من المواقع والبلدان، ومنها معرة النعمان، والتي قتلوا جميع سكانها وكانوا زهاء العشرين ألفًا، قتلوهم في مذبحة همجية تقشعر منها الأبدان، ثم واصلوا مسيرهم ومروا على طرابلس وبيروت وصور وغيرها.

المحور الثالث: ماذا فعل الصليبيون عندما دخلوا القدس؟

وصل الصليبيون إلى القدس التي كانت حينذاك تحت إمرة الفاطميين جاء الصليبيون إلى بيت المقدس وحاصروا المدينة وحاولت الحامية الفاطمية الدفاع لكنها سرعان ما انهزمت، ودخل الصليبيون مدينة القدس وكان يومًا من أشد الأيام سوادًا على المدينة وأهلها..

وقد وصف المؤرخون ما حدث لأهل بيت المقدس، ويا هول ما وصفوا، والكلام هنا ليس لأحد من المؤرخين المسلمين بل هو لمؤرخ نصراني هو وليم الصوري في كتابه تاريخ الحروب الصليبية (٤٣٥/١) واصفًا ما فعل الصليبيون، فقال: «اندفعوا هنا وهناك خلال شوارع المدينة مستلين سيوفهم، وبحماية دروعهم وخوذهم، وقتلوا جميع من صادفوا من الأعداء بصرف النظر عن العمر أو الحالة ودون تمييز، وقد انتشرت المذابح المخيفة في كل مكان وتكدست الرؤوس المقطوعة في كل ناحية بحيث تعذر الانتقال من مكان إلى آخر إلا على جثث المقتولين، وكان القادة قد شقوا في وقت سابق طريقًا لهم بواسطة مسالك متنوعة إلى مركز المدينة تقريبًا وأحدثوا عندما تقدموا قتلًا لا يوصف، وتبع موكبهم حشد من الناس متعطشين لدماء الأعداء»- يقصد دماء المسلمين؛ لأن المؤرخ الذي يحكي من الصليبيين.

ويقول في موضع آخر من نفس الكتاب: «ولقد كانت المجزرة التي ارتكبت في كل مكان من المدينة مخيفة جدًا، وكان سفك الدماء رهيبًا جدًا، لدرجة عانى فيها حتى المنتصرون من أحاسيس الرعب والاشمئزاز».

هذا ما تحدث به مؤرخ النصارى للحادث، فهل يقارن ما فعلوه، بعدل عمر ورحمته، رضي الله عنه؟ وهل يقارن كذلك بما فعله صلاح الدين، كما سيأتي بيانه، إن شاء الله.

عزاء واجب

بعد صراع طويل مع المرض تُوفي إلى رحمة الله بإذنه تعالى رجلان من كبار الدعاة اللذين بذلا في الدعوة إلى الله تعالى جهودًا مباركة، وهما: الشيخ أشرف وهيب حسن، الداعية وعضو مجلس إدارة فرع بلبيس.

والشيخ شعبان محمد عبد الله بيومي، سكرتير إدارة الدعوة بفرع أنصار السنة ببليس، وعضو مجلس الإدارة بفرع ميت حمل.

والله تعالى نسأل أن يتغمدهما بواسع رحمته، وأن يُسكنهما فسيح جناته، وأن يرزقهما الفردوس الأعلى، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا؛ إنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس تحرير مجلة التوحيد





الحلقة السابعة عشرة

تعريف البدعة.. أنواعها وأحكامها

إعداد د. صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نتحدث في هذا العدد عن مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف البدعة، أنواعها وأحكامها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١ - تعريفها: البدعة في اللغة

مأخوذة من البَدْع، وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: « بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ » (البقرة: ١١٧). أي: مخترعها على غير مثال سابق، قوله تعالى: « قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ » (الأحقاف: ٩).

أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل.

ويقال: ابتدع فلان بدعة، يعني: ابتدأ طريقة لم يسبق إليها.

والابتداع على قسمين:

ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات: الإباحة.

وابتداع في الدين، وهذا مُحرَّم؛ لأن الأصل فيه التوقيف، قال صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (رواه البخاري ومسلم)، وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (في صحيح مسلم).

٢ - أنواع البدع

البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قوليّة اعتقاديّة

كمقالات الجهميّة والمعتزلة والرّافضة، وسائر الفرق الضّالة، واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات

كالتّعبّد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أقسام:

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صيامًا غير مشروع أصلًا، أو أعيادًا غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلًا.

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة: بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مُطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة؛ لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

٣ - حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها

كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة

ضلالة) (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (متفق عليه)، وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (رواه مسلم) فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة، فمنها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقرّبًا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية والمعتزلة. ومنها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية، ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائمًا في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع.

تنبيه:

من قَسَّمَ البدعة إلى بدعة حسنة، وبدعة سيئة؛ فهو مخطئ ومخالف لقوله صلى الله عليه وسلم: (فإن كل بدعة ضلالة) لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة؛ بل هناك بدعة حسنة. قال الحافظ ابنُ رجب في شرح الأربعين: (فقوله صلى الله عليه وسلم: (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم؛ لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد) فكل من أحدث شيئًا ونسبَهُ إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة) انتهى.

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة، إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: (نعمت البدعة هذه).

وقالوا أيضًا: أنها أُحدثت أشياء لم يستنكرها السلف، مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور لها أصل في الشرع، فليست مُحدثة، وقول عمر: (نعمت البدعة) يريدُ البدعة اللغوية لا الشرعيّة، فما كان له أصل في الشرع يُرجَعُ إليه، إذا قيل: إنه بدعة، فهو بدعةٌ لغةً لا شرعًا؛ لأن البدعة شرعًا: ما ليس له أصل في الشرع. وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوبًا متفرقًا، فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد حفظًا له.

والتراويح قد صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ليالي، وتخلّف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم، واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعًا متفرقين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الله عنه على إمام واحد كما كانوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هذا بدعة في الدين.

وكتابةُ الحديث أيضًا لها أصل في الشرع، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه؛ لما طلب منه ذلك، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يكتب الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده: خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما تُوفي صلى الله عليه وسلم انتفى هذا المحذور؛ لأن القرآن قد تكامل، وضبط قبل وفاته صلى الله عليه وسلم، فدوّنَ المسلمون الحديثَ بعد ذلك حفظًا له من الضياع، فجزاهُمُ الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا؛ حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم من

الضياع وعبث العابثين.

ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إليها

١- ظهور البدع في حياة المسلمين، وتحته مسألتان:

المسألة الأولى: وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر عهد الخلفاء الراشدين، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (من يعش منكم، فسيرى اختلافا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) (رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح). وأول بدعة ظهرت: بدعة القدر، وبدعة الإرجاء، وبدعة التشيع والخوارج، ولما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، ثم في أواخر عصر الصحابة، حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة- رضي الله عنهم- وحدثت المرجئة قريبًا من ذلك، وأما الجهمية فإنما حدثوا في أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبد العزيز، وقد روي أنه أنذر بهم، وكان ظهور جهم بخراسان في خلافة هشام بن عبد الملك.

هذه البدع ظهرت في القرن الثاني، والصحابة موجودون، وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحدثت الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف، وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهكذا كلما تأخر الوقت زادت البدع وتنوعت.

المسألة الثانية: مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج منها العلمُ والإيمان خمسة: الحرمان، والعراقان، والشام، منها خرج القرآن والحديث، والفقه والعبادة، وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخَرجَ من هذه الأمصار بدع أصولية، غير المدينة النبوية، فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، وأما التجهم فإنما ظهر في ناحية خراسان، وهو شرُّ البدع.

وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، وأما المدينة النبوية، فكانت سليمة من ظهور هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمر لذلك، فكان عندهم مهانًا مذمومًا، غذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم، ولكن كانوا مقهورين ذليلين، بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنصب بالشام، فإنه كان ظاهرًا، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدجَّال لا يدخلها، ولم يزل العلم والإيمان ظاهرًا إلى زمن أصحاب مالك، وهم من أهل القرن الرابع).

فأما العصور الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتة، كما خرج من سائر الأمصار.

٢- الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال، قال تعالى: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ» (الأنعام: ١٥٣).

وقد وضح ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: (خطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال: «هذا سبيل الله» ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه، وعن شماله ثم قال: «وهذه سُبُلٌ، على

كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم تلا: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ») (رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم).

فمن أعرضَ عن الكتاب والسنة؛ تنازعته الطرق المضللة، والبدع المحدثة.

فالأسباب التي أدت إلى ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية: الجهل بأحكام الدين، اتباع الهوى، التعصب للآراء والأشخاص، التشبه بالكفار وتقليدهم، ونتناول هذه الأسباب بشيء من التفصيل:

أ- الجهل بأحكام الدين

كلما امتد الزمن، وبَعُد الناس عن آثار الرسالة؛ قلَّ العلمُ وفشا الجهل، كما أخبرَ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (من يَعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا) (من حديث رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح)، وقوله: (إنَّ الله لا يقبضُ العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبضُ العلمَ بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يُبْق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا) (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١: ١٨٠)).

فلا يُقاومُ البدعَ إلا العلم والعلماء، فإذا فُقد العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر، ولأهلها أن ينشطوا.

ب- اتباع الهوى

من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه، كما قال تعالى: «فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ» (القصص: ٥٠).

وقال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ» (الجاثية: ٢٣).

والبدع إنَّما هي نسيجُ الهوى المتَّبع.

جـ- التعصب للآراء والرجال

التعصب للآراء والرجال يحول بين المرء واتّباع الدليل، ومعرفة الحق، قال تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» (البقرة: ١٧٠).

وهذا هو الشأن في المتعصبين اليوم، من بعض أتباع المذاهب الصوفية والقبوريين، إذا دُعوا إلى اتباع الكتاب والسنة، ونبذ ما هم عليه مما يُخالفهما؛ احتجوا بمذاهبهم، ومشائخهم وآبائهم وأجدادهم.

د- التشبه بالكفار

وهو من أشد ما يوقع في البدع، كما في حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر، إنها السنن! قلتم- والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» (الأعراف: ١٣٨) لتركبُنَّ سُنَن من قبلكم) (رواه الترمذي وصححه).

ففي هذا الحديث: أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح، وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها، وهو الذي حمل بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، وهذا نفس الواقع اليوم، فإنَّ غالب الناس من المسلمين؛ قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات، كأعياد الموالد، وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة، والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات، وإقامة التماثيل، والنصب التذكارية، وإقامة المآتم، وبدع الجنائز، والبناء على القبور، وغير ذلك.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٦٧)

٤٣٦- " إذا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: " أَلا مُسْتَغْفِرٌ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ؟ أَلا مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ؟ أَلا كَذَا، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ".

الحديث لا يصح، خرَّجه وحققه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٠٤/١) وقال: أخرجه ابن ماجه من حديث علي بن أبي طالب وإسناده ضعيف. اهـ.

قلتُ: لا بد من معرفة العلة التي بها تعرف درجة الحديث، فقد زلت بعدم المعرفة أقدام وضلت أفهام، فهذا الحديث أخرجه الحافظ ابن ماجه في «السنن» (ح١٣٨٨) من حديث علي وعلته ابن أبي سبرة واسمه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٤٧/٣): كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات؛ لا يحل كتابة حديثه ولا الاحتجاج به بحال، كان أحمد بن حنبل يُكذبه، ثم أخرج عن يحيى بن معين قال: ليس حديثه بشيء». اهـ. وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٦٦٠): «متروك الحديث». اهـ. وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٩٥/٧) (٢٢٠٠/١٢): حدثنا ابن حماد، حدثني عبد الله عن أبيه قال: أبو بكر بن أبي سبرة كان يضع الحديث. اهـ. ثم قال: «وعامة ما يرويه غير محفوظ وهو في جملة من يضع الحديث». اهـ. فالحديث موضوع. قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

٤٣٧- "الحَمْدُ رِدَاءُ الرَّحْمَنِ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٧٩/٤) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً، وله في الصحيح من حديث أبي هريرة: "الكبرياء رداؤه"». اهـ.

قلت: «الكبرياء رداؤه» أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح٢٦٢٠).

٤٣٨- " إنَّ للصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ عِنْدَ اللهِ وَزْنًا؛ مَن انتقَصَ منها شيْئًا حُوسِبَ به فيها على ما انتقَصَ".

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٤٢٥/٢) (ح١٩١٩) ط. دار الحديث القاهرة من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا وعلته ابن أبي سبرة وهو متروك كذاب يضع الحديث كما بينا آنفًا.

٤٣٩- "يأتي علي الناس زَمانٌ يُسْتَحَلُّ فيه السُّحْتُ بِالْهَدِيَّةِ، والْقَتْلُ بِالْمَوْعِظَةِ؛ يُقْتَلُ الْبَرِيءُ لِتُوعَظَ به العامَّةُ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٥٤/٢) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل». اهـ.

٤٤٠- "إنَّ شِرَارَ أُمَّتِي أجرَؤُهُمْ على صَحابَتِي".



الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٩٥/٧) (٢٢٠٠/١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٨٣/٢) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وقال: «غريب من حديث عروة وهشام تفرد به أبو بكر بن أبي سبرة مدني صاحب غرائب». اهـ.

وهو متروك كذاب يضع الحديث كما بينا آنفًا، ولقد أخرج ابن عدي في «الكامل» قال: «حدثنا الجنيدي قال: حدثنا البخاري قال: أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة المدني منكر الحديث». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه؛ حيث قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): وقول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين ففي «الميزان» للذهبي (٥/١): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

٤٤١- "لا يَدْخُل الفَقْرُ بَيْتًا فيه اسمي".

الحديث لا يصح: أورده الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص٤٧١) وقال: «رواه ابن عدي، وفي إسناده: وَضَّاع».

قلتُ: الحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٦٠/٦) (١٦٤٩/٢٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وعلته محمد بن عبد الملك الأنصاري، وقد أخرج ابن عدي بسنده عن الإمام أحمد بن حنبل قال: «كان محمد بن عبد الملك أعمى يضع الحديث ويكذب». اهـ. وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٣١): «منكر الحديث». اهـ.

وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٢٧): «متروك الحديث». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٦٩/٢): «كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل ذكره في الكتب إلا على وجه القدح فيه، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار».

٤٤٢- " مَنْ قادَ أعْمَى أرْبَعينَ خُطوَةً غَفَرَ اللهُ له ما تقدَّم من ذَنْبِه ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٥٧/٦) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا، وعلته محمد بن عبد الملك الأنصاري متروك كذاب يضع الحديث؛ كما بينا آنفًا.

٤٤٣- " الْبَخيلُ عَدُوُّ اللهِ وَلَوْ كانَ عَابِدًا".

الحديث لا يصح: أورده القاري في «المصنوع» (٧٨) وقال: لا أصل له.

وأورده السخاوي في «المقاصد» (ح٢٨٥) بلفظ: «ولو كان راهبًا» وقال: «لا أصل له». اهـ.

٤٤٤- "ألْسِنَةُ الخَلْقِ أقْلامُ الحَقِّ".

الحديث لا يصح؛ أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح١٦٤) وقال: «لا أصل له». اهـ. وأورده ابن الديبع في «تمييز الطيب من الخبيث» (ح٢٠٦) وقال: «لا أصل له بل هو من كلام بعض الصوفية». اهـ. وأورده القاري في «المصنوع» (ح٣٦).

٤٤٥- "إنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَقِلُّ طُعْمُهُمْ فَتَسْتَنِيرُ بُيُوتُهُمْ".

الحديث لا يصح: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (ح٧٠) من حديث أبي هريرة، ولقد أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٧/٦- ط المعارف الرياض) ح(٥١٦١)، وبيَّن غرابته فقال: «لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن أبي كثير إلا الحسن بن ذكوان، ولا عن الحسن إلا عبد الله بن المطلب تفرد به عبد الرحمن بن صالح».

قلت: علة هذا الحديث عبد الله بن المطلب العجلي ذكره الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٨٨٣/٣٠٥/٢) وقال: «مجهول، وحديثه منكر غير محفوظ»، وأخرج له هذا الحديث من مناكيره، وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٦١٣/٥٠٦/٢): «هذا خبر منكر أورده العقيلي له». اهـ. وكذلك تدليس ابن ذكوان وابن كثير.



إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد ذكرنا في الحلقة السابقة بعض المسائل المتعلقة بالحيض، كحكم دخول الحائض المسجد، وغسل المرأة من المحيض، ونقض الحائض ضفيرتها في غسل الحيض ونستكمل - بإذن الله تعالى- ما يتعلق بالحيض من أحكام.

أولاً: إحرام الحائض:

الإحرام: الإحرام مصدر قولك أحرم الرجل إذا دخل في حرمة لا تهتك، والإحرام: نية الدخول في النسك، وسميت نية الدخول في النسك إحرامًا؛ لأنه إذا نوى الدخول في النسك حرَّم على نفسه ما كان مباحاً قبل الإحرام من الرفث والطيب وحلق الرأس والصيد وغير ذلك- تبيين الحقائق (٨/٢)، المبدع شرح المقنع (١٠٧/٣).

ويجوز للحائض والنفساء الإحرام بالحج والعمرة، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١- ما جاء في حديث جابر الطويل في مسلم «.... فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي....» صحيح مسلم (١٢١٨).

والاستثفار: هو أن تشد في وسطها شيئًا وتأخذ خرقة عريضة تجعلها محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها- مسلم بشرح النووي (٤٣٥/٤).

قال الخطابي في معالم السنن (١٩٩/٢): "وفي قوله لأسماء وهي نفساء لم تتعل من نفاسها اغتسلي واستثفري دليل على أن من سنة المحرم الاغتسال، وإن الحائض إذا أرادت الإحرام اغتسلت له كالطاهر.

٢- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت «... قَدِمْتُ مَكَّةَ وَأَنَا حَائِضٌ وَلَمْ أَطُفْ بِالْبَيْتِ وَلَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: انْقُضِي رَأْسَكِ وَامْتَشِطِي وَأَهِلِّي بِالْحَجِّ وَدَعِي الْعُمْرَةَ فَفَعَلْتُ». أخرجه البخاري (١٥٥٦)، ومسلم (١٢١١).

ثانيًا: طواف الحائض:

إذا حاضت المرأة قبل طواف الإفاضة ماذا تفعل: اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الطهارة شرط لصحة الطواف، ومن ثم فلا يجوز للحائض الطواف حتى تطهر ثم تطوف طواف الإفاضة، وطواف الإفاضة ركن من أركان الحج لا يجبر بالدم ويبطل الحج بدونه، وهذا مذهب مالك (مواهب

الجليل ٣٧٤/١)، والشافعي (المجموع ٢٣٧/٨)، والحنابلة (الإنصاف ١٥/٤).

واستدلوا: بما روي عن ابن عباس أنه قال: «الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَبَاحَ فِيهِ الْكَلَامَ». سنن الدارمي (١٨٨٩)، السنن الكبرى للنسائي (٣٩٣١)، مصنف ابن أبي شيبة(١٢٨٠٨)، وقد اختلف في وقفه ورفعه.

القول الثاني: الطهارة ليست شرطا لصحة الطواف، إنما هي واجب يجبر بالدم. وهذا مذهب أبي حنيفة (المبسوط ٤٤/٤:٤٥) وأحمد في أحد قوليه (الإنصاف ١٥/٤)؛ واحتجوا: بقوله تعالى: (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) الحج: ٢٩.

قالوا: أمر الله تعالى في الآية بالطواف، وهو اسم للدوران حول البيت، وذلك يتحقق من المحدث والطاهر، فاشتراط الطهارة فيه يكون زيادة على النص، ومثل هذه الزيادة لا تثبت بخبر الواحد ولا بالقياس؛ لأن الركنية لا تثبت إلا بالنص، فأما الوجوب فيثبت بخبر الواحد؛ لأنه يوجب العمل ولا يوجب علم اليقين، والركنية إنما تثبت بما يوجب علم اليقين، فأصل الطواف ركن ثابت بالنص، والطهارة فيه تثبت بخبر الواحد، فيكون موجب العمل دون العلم، فلم تصر الطهارة ركنا، ولكنها واجبة، والدم يقوم مقام الواجبات في باب الحج. (المبسوط للسرخسي ٣٨/٣).

القول الثالث: لا يجوز للحائض الطواف بالبيت، ولكن إن لم يتسع الوقت فهي معذورة، وفي هذه الحالة تغتسل وتطوف طواف الإفاضة وهي حائض، وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٢٥٥/٢٦)، وابن القيم (إعلام الموقعين ١٨/٣، ١٩).

واحتجوا على عدم جواز الطواف للحائض بحديث عائشة وفيه «افْعَلِي كَمَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي» أخرجه البخاري (٣٠٥)، ومسلم (١٢١١).

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٥٥/٢٦): "فهذه "المسألة" التي عمت بها البلوى. فهذه إذا طافت وهي حائض وجبرت بدم أو بدنة أجزأها ذلك عند من يقول: الطهارة ليست شرطا، كما تقدم في مذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وأولى فإن هذه معذورة، لكن هل يباح لها الطواف مع العذر؟ هذا محل النظر، وكذلك قول من يجعلها شرطا، هل يسقط هذا الشرط للعجز عنه ويصح الطواف؟

هذا هو الذي يحتاج الناس إلى معرفته.

فيتوجه أن يقال: إنما تفعل ما تقدر عليه من الواجبات ويسقط عنها ما تعجز عنه، فتطوف، وينبغي أن تغتسل وإن كانت حائضا كما تغتسل للإحرام وأولى. وتستثفر كما تستثفر المستحاضة".

قال ابن القيم في إعلام الموقعين (١٨/٣، ١٩): ".. تطوف بالبيت والحالة هذه وتكون هذه ضرورة مقتضية لدخول المسجد مع الحيض والطواف معه وليس في هذا ما يخالف قواعد الشريعة، بل يوافقها...، إذ غايته سقوط الواجب أو الشرط بالعجز عنه، ولا واجب في الشريعة مع عجز ولا حرام مع ضرورة".

تعقيب وترجيح:

أرى والله تعالى أعلم صحة ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وموافقوه من جواز طواف المرأة الحائض للإفاضة إذا كانت لا تستطيع بأي وسيلة أن تمكث في مكة حتى تطهر؛ لأن طواف الإفاضة ركنٌ لا يتم الحج إلا به، ولا يجوز أن يجبر بالدم، فلا بد لها من الطواف، ولأننا لو أوجبنا عليها المكث حتى تطهر لوقعت في الحرج والمشقة، والله تعالى يقول: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» (الحج:٧٨).

وقال تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» (التغابن:١٦).

وقال تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (البقرة:٢٨٦).

ثالثا: طواف الحائض للوداع:

طواف الوداع آخر النسك؛ ويقع بعد جميع أعمال الحج، وسمي بهذا الاسم لأنه لتوديع البيت، ويسمى أيضا طواف الصدر؛ لأنه يقع عند صدور الناس من مكة.



وقد رخص للحائض ترك طواف الوداع ولا شيء عليها، هذا ما ذهب إليه جمهور العلماء.

ودليل ذلك ما روي عن أبي سلمة وعروة أن عائشة قالت: حَاضَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ بَعْدَ مَا أَفَاضَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَذَكَرْتُ حِيضَتَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَحَابِسَتُنَا هِيَ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهَا قَدْ كَانَتْ أَفَاضَتْ وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ ثُمَّ حَاضَتْ بَعْدَ الْإِفَاضَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: فَلْتَنْفِرْ». أخرجه البخاري (١٧٥٧) ومسلم(١٢١١-٣٨٢).

وعن ابن عباس، قال: «أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنْ الْحَائِضِ». أخرجه البخاري (١٧٥٥) ومسلم(١٣٢٨).

وهذه بعض أقوال الفقهاء في المسألة:

قال الكاساني في بدائع الصنائع (١٤٢/٢): "ثم دليل عدم الوجوب أنا أجمعنا على أنه لا يجب على الحائض والنفساء، ولو كان واجبًا لوجب عليهما كطواف الزيارة".

قال الشافعي في الأم (١٩٨/٢): "وإن طهرت قبل أن تنفر فعليها الوداع كما يكون على التي لم تحض من النساء، وإن خرجت من بيوت مكة كلها قبل أن تطهر ثم طهرت لم يكن عليها الوداع، وإن طهرت في البيوت كان عليها الوداع".

قال ابن قدامة في المغني (٤٠٦/٣): "والمرأة إذا حاضت قبل أن تودع، خرجت، ولا وداع عليها، ولا فدية، هذا قول عامة فقهاء الأمصار".

رابعًا: سعي الحائض بين الصفا والمروة:

لا خلاف بين الفقهاء في أنه يجوز للحائض أن تسعى بين الصفا والمروة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وقد حاضت: «فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ»- أخرجه البخاري (٣٠٥)، ومسلم (١٢١١).

خامسًا: إذا أحرمت المرأة بالعمرة متمتعة إلى الحج ثم وصلت مكة وطافت، وبعد الطواف حاضت أو نفست:

لها أن تكمل عمرتها، فتسعى بين الصفا والمروة وهي حائض؛ لأن جمهور العلماء أجازوا السعي على غير طهارة، وإن كان أداء العبادات كلها على طهارة أفضل. ثم تأخذ قدر أنملة من شعرها، وبذلك تكون قد تحللت. فإذا جاء يوم التروية وهي ما زالت حائضًا تغتسل وتهل بالحج وتخرج إلى منى محرمة ملبية، وتفعل كل المناسك وكل ما يفعل الحاج، ولا تطوف بالبيت حتى تطهر.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «نُفِسَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِالشَّجَرَةِ؛ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا بَكْرٍ يَأْمُرُهَا: أَنْ تَغْتَسِلَ وَتُهِلَّ»- أخرجه مسلم (١٢٠٩).

وعن ابن عمر: «إذا طافت ثم حاضت قبل أن تسعى بين الصفا والمروة فلتسع بين الصفا والمروة»- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤٣٩٤)، وقال الحافظ في الفتح (٥٩٠/٣) إسناده صحيح.

سادسًا: إذا حاضت المرأة المتمتعة - مثلا اليوم الخامس من ذي الحجة - وخشيت فوات الحج لأنها في هذه الحالة لن تطهر قبل اليوم الحادي عشر، أي بعد فوات الوقوف بعرفة، فماذا تفعل؟

ذهب الجمهور إلى أنها تدخل الحج في العمرة فتصبح قارنة، وتغتسل، وتهل بالحج عند وصولها الميقات فتقول: لبيك اللهم بعمرة في حج، أو تقول: لبيك اللهم بحج. إن كانت تريد نسك الإفراد، وتظل محرمة لا تتحلل حتى إذا جاء يوم التروية خرجت إلى منى وهي محرمة ملبية، فإذا طهرت تغتسل وتظل محرمة حتى تقضي المناسك.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قدمت مكة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، قالت: فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «افْعَلِي كَمَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي»- أخرجه البخاري(١٦٥٠).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



علاج القلق والهموم بذكر الله تعالى

إعداد: د. صالح بن عبد الله بن حميد
خطيب المسجد الحرام

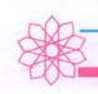
الحمدُ لله، الحمدُ لله تعالى في عظمته وملكوته وكبريائه، وتقدَّس في مجده وعزَّته وعليائه، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، أفاض علينا من كرمه وجُوده ونعمائه، أحمدُه - سبحانه - وأشكرُه وأسألُه المزيدَ من فضله وآلائه. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أرجُو بها الفوزَ يوم لقائه، وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه أفضل رُسُله وخاتم أنبيائه، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله وأصحابه وأوليائه، والتابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا مُباركًا مَزيدًا إلى يوم جزائه.

أما بعد: فأُوصيكم - أيها الناس - ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-، اتَّقُوه ما استطعتُم؛ فقد أفاضَ عليكم من نعمه وفضله ما عن شكره قد عجزتُم، وجاءَكم النذيرُ، وأبلغ في إنذاره لو سمعتُم. اتَّقُوه؛ فتقواهُ خيرُ واقٍ، وفيها التنافُسُ والسِّباق، واعلموا أن لكل أجَلٍ كتابًا، ولكل غائبٍ إيابًا، ولكل عملٍ جزاءً وثوابًا. وأنتم إلى ربِّكم صائرُون، وعلى طريقِ من سبَقَكم سائرُون، وعلى مَن لا تخفَى عليه خافيةٌ سوف تُعرَضُون، (ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) (الأنبياء: ١).

أيها المسلمون: خلقَ اللهُ الناسَ من نفسٍ واحدة؛ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) (النساء: ١)، نفسٌ واحدة تكتسبُ بحكمة الله وقُدرته أوصافًا، وتَحمِلُ سِماتٍ، وتعيشُ أحوالاً تتنازَعُها الشهواتُ والشُّبُهات، والمحبُوبات والمكرُوهات، (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا) (الشمس: ٧- ١٠)، (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ) (البلد: ٨- ١٠).

عباد الله: لقد اعتنَى القرآنُ الكريمُ بهذه النفس الإنسانيَّة غايةَ العناية؛ لأن الإنسانَ هو محلُّ التكليف، وهو المقصودُ بالهداية والتوجيه والإصلاح. ومن شرحَ الله صدرَه للإسلام، وعمرَ قلبَه بالإيمان اطمأنَّت نفسُه، وهدأَت سريرتُه، وتنزَّلَت عليه السَّكينة، وامتلأَ بالرِّضا قلبُه، (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ) (الفتح: ٤)، (فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٣٨). وفي الحديث: "الإيمانُ قيَّد الفَتْكَ، لا يفتكُ المُؤمن" (رواه أبو داود).

والفَتْكُ: هو البَطشُ. الله أكبر.. عباد الله! كم من مُسلم تكالَبَت عليه الهُموم، فتوضَّأ وتطهَّر، ثم قَصَدَ إلى زاوية من بيته، أو مشَى إلى مسجِده فتلا من كتابِ الله ما



تيسَّر له، أو صلَّى ما كُتِبَ له فانزاحت هُمومُه، وقامَ كأنَّما نشِط من عقال؟! وكم من مُسلم اضطجَعَ على جنبِه الأيمن في منامه، وقرأ بعضَ آياتٍ أو تلا بعضَ أوراد، فنامَ قريرَ العين محفوظًا بحفظ الله؟!وكم من مُسلم أصابَه قلقٌ أو وحشةٌ فاستأنَسَ بآياتٍ من كتابِ ربِّه، فوجدَه نعمَ الأنيسِ وخيرَ الجليس؟! وكم من مُسلم نالَه فقرٌ أو مسَّه جوعٌ، فوجدَ في كتابِ اللهِ شبَعَه وغناه؟!وكم من غنيٍّ كادَ أن يُطغيَه غناه، فأنقذَه مولاه بآياتٍ من كتابه، فانكشَفَ له السِّتار، وتذكَّر النِّعَم، وابتغَى ما عند الله؟! الصالحون الطيِّبُون المحسنون، المشاؤُون للمساجد هم المطمئنُّون بذكرِ الله، وهم الأقوَى والأقدرُ على مصائب الحياة وتقلُّباتها، لا تُعكِّرُ التقلُّباتُ طُمأنينَتَهم، ولا تستثيرُ المُنغِّصاتُ سكينتَهم.

معاشر المسلمين: هذا هو حالُ أهل الإيمان والصلاح، بينما يتعذَّبُ ملايين البشر اليوم يلهَثُون وراءَ المُسكِّنات والمُنوِّمات، والعيادات والمستشفَيات، ويبحَثُون في الكتب والمؤلَّفات والمقالات. أقلقَهم القلق، وفقَدَت نفوسُهم الأمن، قلِقُون من الموت، يخافُون من الفشل، جزِعُون من الفقر، وجِلُون من المرض، إلى غير ذلك مما تجري به المقاديرُ على جميع الخلائق.القلقُ - حفظكم الله وسلَّمكم - انفعالٌ واضطرابٌ داخلَ النفس يُعاني منه الإنسانُ حينَ يشعُرُ بالخوف أو الخطَر من حاضرٍ أو مُستقبَل.والإنسانُ القلِقُ يعيشُ حياةً مُظلمة، مع سُوء الظنِّ بمن حولَه وبما حولَه. تغلِبُ عليه مشاعرُ الضيق والتشاؤُم والتوتُّر والاضطراب وعدَم الثِّقة؛ بل يرَى الناسَ عُدوانيين حاقدين حاسدين، حتى قالوا: "إن وراءَ مُرتكِبِ الجريمة قلقًا دفعَه إلى اقترافها"، إما خوفٌ من موت، أو خوفٌ من جُوع، أو خوفٌ من فقر، أو خوفٌ من مرض، أو فشل، أو غير ذلك من الدوافِع والهواجس التي تمتلئُ بها هذه الحياة.هذا القلقُ المُضطربُ غلَبَت عليه الدنيا، فكانت أكبرَ همِّه فزادَ قلقُه، وطالَ أرَقُه، "ومن كانت الدنيا همَّه جعلَ الله فقرَه بين عينَيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتِب له".

ثم تذكَّر-حفظَكم الله ورحمَكم- هذا الدعاء: "اللهم لا تجعَل الدنيا أكبرَ همِّنا". أين الراحةُ إذا كانت الدنيا هي مُنتهَى الأمل؟! وأين الطُّمأنينةُ إذا كانت الدنيا هي غاية السعي؟! هدوءُ النفس وراحةُ البال-عباد الله- نعمةٌ عظيمةٌ لا يعرفُ قيمتَها إلا من فقَدَها، ومن أصابَه الأرَقَ أو دبَّ إليه القلَق عرفَ معنى هذه النعمة، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ (الروم: ٢٣).

من فقَدَ راحةَ البال تدلهمُّ أمامَه الخُطُوب، وتجثُمُ على صدره الهُموم، فيتجافَى عنه النوم، ويفقدُ الراحة، وتُظلِمُ الدنيا في عينَيه.

معاشر المسلمين: مساكينُ أهل هذا العصر حين يدرُسُون النفسَ الإنسانيَّة مقطوعة الصِّلة بالله خالقها ومُدبِّرها، ومُقدِّر أحوالها وشُؤونها، يتكلَّمون عن أثر البيئة، وعن أثَر الأسرة، وعن أثر الاقتصاد، ولا يتكلَّمون عن الهُدى والضلال، والكُفر والإيمان، والطاعة والعبادة.

فانقلَبَت عندهم المعايير، واضطرَبَت لديهم المقاييس، وذهبَت الفضائل، وضاعَت القيَم، وانحلَّت الأخلاق، فلم تُفِد حلولُهم، ولن تُجدي اختباراتُهم ولا مُختبراتُهم، من ضلالِهم وانحرافاتهم؛ أن عَدُّوا ضبطَ الشهوات كبتًا، والإحساسَ بالذنب تعقيدًا؛ بل المرأةُ عندهم إذا لم تتَّخذ صديقًا يُعاشِرُها بالحرام فهي مريضةٌ شاذَّة، ونعوذُ باللهِ من انتكاس الفطر.وفي كلمةٍ مُنصفة: فقد انتقَدَ عُقَلاؤُهم هذا الانحرافَ المُهلك في مبادئ هذه الحضارَة وفكرِها ونظرتِها للإنسان ونفسِ

الإنسان؛ فقال قائلٌ منهم: "إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصل، فإذا خضعنا لله تحققت آمالُنا وأمنيَاتُنا، وحققنا أمنَنا وطُمأنينَتنا". وقال آخر: "إن أعظمَ علاجٍ للقلق هو الإيمان".

ويقولون: "الإيمانُ والاستقامةُ كفيلان بإبعاد القلق والتوتر، والشفاء بإذن الله من الأمراض النفسيَّة".

ويقولون: "الصلاةُ أقربُ طريق لبثِّ الطمأنينة في النفوس، وبثّ الهُدوء في الأعصاب".

نعم، عباد الله: لا حصانةَ للنفس ولا حفظ للمُجتمع أعظمُ وأنجعُ وأسرعُ من الإيمان بالله والسَّير على هُدى الله؛ الإيمانُ ينشرُ الأمان، ويبعثُ الأمل، والأملُ يبعثُ السَّكينة، والسَّكينةُ تُورثُ السعادة. فلا سعادةَ بلا سَكينة، ولا سَكينةَ بلا إيمان، فالإيمانُ هو الغذاءُ، وهو الدواء، وهو الضياء. صاحبُ الإيمان راسخُ العقيدة، حسنُ العبادة، جميلُ التوكل، كثيرُ التبتّل، عظيمُ الخضوع، طويلُ الخشوع، مُديمُ الذكر، عميقُ الفكر، مُلازمٌ للعمل الصالح، واسعُ الصدر، عظيمُ الأمل، كثيرُ التفاؤل. لا يتحسَّرُ على ماضيه باكيًا، ولا يعيش حاضرَه ساخطًا، ولا ينتظرُ مُستقبَله خائفًا قلقًا. يقول ابن القيم-رحمه الله-: "لا تُفسد فَرحَك بالقلق، ولا عقلَك بالتشاؤم، إنك لو تأمَّلت حالك لوجدتَ أن الله قد أعطاك أشياء دون أن تطلبها، فثق أن الله لم يمنع عنك حاجة رغبتها إلا ولك في المنع خيرٌ تجهله".

معاشر الأحبة: المُؤمنُ مُؤمنٌ بأقدار الله ومقاديره، فما شاءَ اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكُن، (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد: ٢٢، ٢٣).

والله هو الرزَّاق، ورزقُ الله لا يجُرُّه حرصُ حريص، ولا تَرُدُّه كراهيةُ كاره، والمسلمُ يجمعُ بين التوكل والأخذ بالأسباب، (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) (الذاريات: ٢٢، ٢٣)، "فاتَّقوا الله وأجملوا في الطلب؛ فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها"؛ (رواه ابن ماجه).

المُؤمنُ يعيشُ وذكرُ الله شعارُه، والتوكُّلُ على الله دثارُه، وما تلذَّذَ المُتلذّذون بمثلِ ذكر الله.

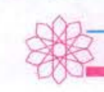
وعجبًا لمن ابتُلي بالغمّ كيف ينسَى: (لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء: ٨٧).

رُوي عن جعفر الصادق-رضي الله عنه ورحمه-: "عجبتُ لمن اغتمّ ولم يفزع إلى قوله تعالى: (لا إله إلا أنْتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين) دعوة ذي النُّون - عليه السلام- فإني سمعتُ الله يُعقبها بقوله: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) (الأنبياء: ٨٨).

وعجبتُ لمن أصابه الحزن ولم يفزع إلى قوله تعالى: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)(آل عمران: ١٧٣)، فإني سمعتُ الله يقول: (فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)(آل عمران: ١٧٤).

وعجبت لمن أحاطت به المكائد ولم يفزع إلى قوله تعالى: (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (غافر: ٤٤)، فإني سمعتُ الله يُعقبها بقوله: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) (غافر: ٤٥)".

ويُصدِّقُ ذلك ويُجليه: قولُ نبيِّنا محمد - صلى الله عليه وسلم-: "دعوة ذي النُّون إذ دعا ربَّه وهو في بطن الحوت: (لا إلهَ إلا أنْت سُبْحَانك إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمين)، لم يدعُ



بها رجلٌ مُسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استُجيبَ له" (أخرجه أحمد في "مسنده"، والترمذي في "جامعه").

ومن الدَّقيق اللطيف - عباد الله -: ارتباطُ دعوات المكرُوب بتحقيق التوحيد؛ يقول - عليه الصلاة والسلام -: "اللهم رحمتَك أرجُو، فلا تكلني إلى نفسي طرفةَ عين، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت" (رواه أبو داود). وقال لأسماء بنت عُميس: "ألا أعلِّمُك كلمات تقوليهنَّ عند الكَرب؟ الله ربِّي لا أُشرِكُ به شيئًا"؛ (رواه أبو داود).

معاشر المُسلمين: الالتجاءُ إلى الله والتوكُّل عليه وحُسن الظنِّ به من أعظم مُفرِّجات الهُموم، وكاشِفات الكُروب، وطارِداتَ القلَق، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق: ٣)، ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (هود: ١٢٣).

والتعلُّقُ بالله ودُعاؤه من أعظم السُّبُل يُعفي القلق؛ كيف وقد كان نبيُّكم محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - إذا أكربَه أمرٌ قال: "يا حيُّ يا قيوم، برحمتك أستغيث"؛ (رواه الترمذي).

وفي الحديث الصحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما من مُؤمنٍ يُصيبُه همٌّ أو غمٌّ أو حَزَن فيقولُ: اللهم إني عبدُك، ابنُ عبدك، ابنُ أمَتِك، ناصيَتي بيدك، ماضٍ في حُكمُك، عدلٌ في قضاؤُك، أسألُك اللهم بكل اسم هو لك، سمَّيتَ به نفسَك، أو علَّمتَه أحدًا من خلقك، أو أنزلتَه في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندَك، أن تجعلَ القرآن الكريمَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حَزَني، وذهابَ همِّ وغمِّي؛ إلا فرَّج الله عنه"؛ (رواه أحمد في "مسنده").

وبعد، عباد الله: يجمعُ لكم ذلك كلَّه كتابُ الله؛ فهو الشفاءُ لما في الصدور، والشفاءُ لكل الأمراض البدنيَّة والنفسيَّة، والظاهرة والباطنة، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء: ٨٢)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(يونس: ٥٧)، بتلاوته تطمئنُّ القلوبُ فلا اضطراب، وبالاستمساك به تطمئنُّ فلا قلق، وبتدبُّره تطمئنُّ فلا وسوسة.

معاشر المسلمين: أما ما كان من القلَق حافزًا إلى الخير، وباعثًا على العمل، فهو قلقٌ محمود؛ بل هو خيرٌ وفضلٌ ونعمةٌ، اقرءوا إن شئتُم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦٠، ٦١)؛ فالمُحاسبةُ والقلقُ خشيةَ التقصير من صفات المُؤمنين المُخلصين.

أما عدمُ الاكتراث والمُبالاة فمن صفات المُنافقين.

يقولُ الحسنُ - رحمه الله -: «المُؤمنُ أحسنُ الناس أعمالاً، وأشدُّ الناس خوفًا؛ فالمُؤمنُ لا يزدادُ صلاحًا وبرًّا وعبادةً إلا ازدادَ خوفًا ويقول: لا أنجُو، إنه يخشى عدمَ القبول».

المُؤمنُ لا يخافُ إلا الله، يخافُ أن يكون فرَّط في حقِّه، ويخافُ أن يكون قد اعتدَى على خلقه، كما قال أبو الأنبياء - عليه السلام -: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ٨١). ألا فاتَّقوا الله - رحمكم الله -، واعمَلوا مُشفقين، وجِدُّوا حذرين، واستحضرُوا مقالةَ عباده المُؤمنين: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾(الطور: ٢٦).

والحمد لله رب العالمين.

الخلاف وأصوله

الحلقة الثالثة

إعداد د. أحمد سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

موعدنا مع المحور الثالث في منظومة الخلاف، التي ذكرنا أن لها عشرة محاور رئيسة تتكون منها المنظومة.

والمحور الثالث يأتي بعد مشروعية الخلاف، والكلام عن أسباب وقوع الخلاف، وسيكون هذا المحور حول:

الشروط التي يجب توافرها في الخلاف:

وأعني بالشروط أنه: متى يكون الخلاف مقبولاً؟

ولهذا سيحدد الكلام في هذا المحور حول: شروط قبول الخلاف.. فكما هو معلوم أن كل مخالف يدعي أن خلافه مقبول، فيدافع عنه، حتى يظن أنه يمكنه أن يزع الآخرين على قبول هذا الخلاف.

ومما لا شك فيه أيضًا أن الخلاف منه المقبول ومنه المردود، ولهذا وضع أهل العلم شروطًا لوجود هذا الميزان الذي من خلاله يقبل ويحكم على الخلاف أنه مقبول أو مردود.

وأول هذه الشروط: أن يكون القول المخالف صادرًا من عالم.

ولهذا لا يقبل الخلاف ممن دون العلماء، ولا يُعتبر بقولهم، ولا يُلتفت لخلافهم، فهم ليسوا بأهل للخلاف أصلاً، فدخولهم في الخلاف لا يكون مسوغًا لقبول أقوالهم، فلا علم لهم بالدليل ودلالته ولا الأحكام التي تبنى عليه، فكيف نجعل لأقوالهم وزنًا وهم لا وزن لهم في العلم ولا بين أهل العلم.

وثاني هذه الشروط:

ألا يكون القول المخالف مخالفًا لدليل ثابت، ودلالة ثابتة عند سلف الأمة.

وهذا الشرط-بالأمر المُسلَّم به- مبنيّ على الشرط السابق؛ لأن أهل العلم هم أهل الدليل ودلالته، فهم أعلم الناس بالأدلة ودلالتها والأحكام التي تبنى عليها.

فإذا خالف سيكون خلافه خارجًا عن كونه معارضًا لدليل ثابت أو دلالة ثابتة.

وثالث هذه الشروط:

ألا يكون القول المخالف مخالفًا لإجماع قطعي صحيح، وهذا يثبت أنه ينبغي على المخالف العلم بالمواطن التي عليها إجماع عند أهل العلم، ومن ثَمَّ لا يتسنى له مخالفتهم.

ورابع هذه الشروط:

ألا يكون القول المخالف بعيدًا عن أقوال أهل



العلم، ومن بدهيات الفقه أن على الفقيه أن يكون على علم بأقوال السلف والأئمة المتبوعين في المسألة التي سيتكلم فيها، ومن ثَمَّ إذا أراد أن يرجح بين أقوالهم، لا يخرج عنها، بل يرجح بينها ولا يأتي بجديد لم يُسْبَق له في المسألة، لا سيما وقد تكلم فيها السلف من قبله.

وآخر هذه الشروط:

أن يكون خلافه معتبرًا بالأدلة ودلالتها.

أي عليه أن يُدلل على ما ذهب إليه، ويوضح كيف وصل إلى هذا الحكم، فإما أن يكون صادرًا عن دليل ثابت من قرآن أو سنة، أو استند فيهما لإجماع مضى عليه سلف الأمة.

بهذه الشروط يدخل المخالف في منظومة الخلاف، ويكون خلافه سائغًا مقبولاً، يجلس به على منضدة الخلاف، ويصح لمن بعده نقل خلافه على أنه معتبَر بين أهل العلم.

ومن المشاهد أن القَوْل كله على صاحب الرأي المخالف، مما يؤدي بنا إلى أن نتكلم عن محور آخر من المحاور العشرة في الخلاف ألا وهو المحور الرابع في منظومة الخلاف: من يُعتبر بقوله في الخلاف؟

أي: ما هي أهم صفات مَن يُعتد بقوله في الخلاف؟

وقد ذكرنا في المحور السابق في أول الشروط: العالم فمن هو العالم المعتبر بقوله في منظومة الخلاف؟

العالم ضد الجاهل

ولما كان الجاهل من الجهل، والجهل جهلان: بسيط ومركب.

فالأول وهو البسيط: هو عدم إدراك حقائق الأشياء.

والثاني وهو الأعم: هو إدراك الأشياء على غير حقائقها.

فالعلم علمان: ضروري ومكتسَب.

فالضروري: هو ما يُدرَك بلا جهد ونَصَب.

والمكتسب: هو ما يحتاج في تحصيله إلى جهد ونصب.

ولهذا فعلم الفقه والعالم بأحكامه وأدلته يدخل في النوع الثاني؛ يحتاج إلى كسب وجهد وتحصيل لإدراكه.

ولهذا نُسب إلى علي رضي الله عنه في شرح إحياء علوم الدين للغزالي والشارح هو الناسب للإمام الزبيدي، قوله في فضل العلم والعلماء

ووزن كل امرئ ما كان يُحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء

وبالعقل وزن العالم بما هو مُحصِّل من العلم، ومن هذا جاز التقسيم المعتاد عند الأصوليين: (المجتهد- المقلد).

فالأول: هو من استنفذ قصارى جهده لتحصيل حكم شرعي وعمل به.

والثاني: هو من قلَّد أحكام غيره وعمل بها.

فالمجتهد هو: من بذل قصارى جهده لتحصيل حكم شرعي، وبذل قصارى الجهد في الدليل والدلالة بالآلية المعروفة عند أهل العلم والتي تسمى: الاجتهاد.

ولهذا نقول: صفات مَن يُعتد بقوله في الخلاف:

أولاً: العالم المجتهد.

أما الصفة الثانية: صاحب الدين.

والمقصود بها الفقيه الورع، المتَّبع لا المبتدع، السائر على درب السابقين من أهل العلم، الذي نرى أثر علمه على نفسه.

وزاد أهل العلم صفة ثالثة فقال: له منهج في الاعتقاد معروف بين أهل العلم به.

أي له طريقة في الاستدلال يصل بها إلى الأحكام الشرعية، بشرط ألا يخالف بهذه الطريقة ما أجمع عليه أهل العلم والسلف الصالح.

فمتى أفتى أو أخرج لنا حكمًا نستطيع أن نقول: إن قوله خرج موافقًا لطريقة استدلاله، فلا يكون هناك ثمة تناقض بين فتواه وبين طريقة خروج هذه الفتوى.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.





الأمثال في القرآن
(مثل العبد المملوك)

إعداد
مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فهذا مَثل من الأمثال القرآنية، وهو في قوله تعالى من سورة النحل: « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (النحل: ٧٥- ٧٦).

المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم رحمه الله: هذان مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس، وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه، فإن القياس نوعان: قياس طرد: يقتضي إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه.

وقياس عكس: يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه. (إعلام الموقعين).

فالمثل الأول ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان، فالله سبحانه هو المالك لكل شيء، ينفق كيف يشاء على عبيده سرًا وجهرًا وليلاً ونهارًا، «يمينه مَلأى لا تغيضها نفقةٌ، سحاءُ الليل والنهار». (الأمثال في القرآن لابن القيم).

(ومعنى (سحاء) السح الصب الدائم- ومعنى (لا تغيضها) أي لا ينقصها). قاله النووي في «شرح مسلم» (٨١/٤).

والأوثان المملوكة عاجزةٌ لا تقدرُ على شيء، فكيف تجعلونها شركاء لي وتعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين؛ هذا قول مجاهد وغيره.

وقال ابن عباس: هو مثل ضربهُ الله للمؤمن والكافر، ومثل المؤمن في الخير الذي عنده ثم رزقه منه رزقا حسنا فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرًا وجهرًا، والكافر بمنزلة عبدٍ مملوك عاجز لا يقدر على شيء؛ لأنه لا خير عنده، فهل يستوي الرجلان عند أحدٍ من العقلاء. (تفسير الطبري ٦٢٢/٧).

والقول الأول أشبه بالمراد، فإنه أظهر في بطلان الشرك، وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة، وأقرب نسبًا بقوله: « وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النحل: ٧٣-٧٤).

وأما المثل الثاني: فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه أيضًا، فالصنم الذي يعبدون من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق بل هو أبكم القلب واللسان، قد عدم النطق القلبي واللساني، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة، والله سبحانه حي قادر متكلم، يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد.

فإن أمره العدل- وهو الحق- يتضمن أنه سبحانه عالمٌ به، معلمٌ له، راضٍ به، آمرٌ لعباده به، محبٌ لأهله، لا يأمرُ سواه، بل تنزه عن ضده الذي هو الجورُ والظلم والسفه والباطل، بل أمره وشرعه عدلٌ كله، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه، وهم المجاورون عن يمينه على منابر من نور، وفي هذا المقال نتكلم عن المثل الأول وهو الآية (٧٥ من سورة النحل). (التفسير القيم ١٦/٢)، وسوف نتكلم عن المثل الثاني وهو الآية

(٧٦ من نفس السورة) في العدد القادم بإذن الله.

المعنى التفصيلي

المثل الأول:

قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٢٢٣/٧): «أعقب زجرهم عن أن يشبهوا الله بخلقه أو أن يشبهوا الخلق بربهم بتمثيل حالهم في ذلك بحال من مثل عبدًا بسيده في الإنفاق، فجملة «ضرب الله مثلاً عبدًا» الخ مستأنفة استئنافا بيانيًا ناشئا عن قوله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ» (النحل:٧٣).

فشبَّه حال أصنامهم في العجز عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرُّف في نفسه ولا يملك مالاً، وشبَّه شأن الله في رزقه إياهم بحال الغني المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاق وغيره، ومعرفة الحالين المشبهين يدل عليها المقام، والمقصود نفي المماثلة بين الحالتين.

معاني مفردات المثل الأول:

العبد: الإنسان الذي يملكه إنسان آخر بالأسر أو بالشراء أو بالإرث وقد وصف «عبدًا» هنا بقوله: «مملوكا» تأكيدًا للمعنى المقصود، وإشعارًا لما في لفظ عبد عن معنى المملوكية المقتضية أنه لا يتصرف في عمله تصرف الحرية.

لا يقدر على شيء: وجملة «لا يقدر على شيء» صفة «عبدا» أي عاجزًا عن كل ما يقدر عليه الناس، كأن يكون أعمى وأصم، بحيث يكون أقل العبيد فائدة، فهذا مثل لأصنامهم، كما قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» (النحل:٢١)، وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا» (العنكبوت:١٧). (انظر: تفسير الطبري ٣٧٦٢/٦).

و«من» موصولة، و«الرزق» هنا اسم للشيء المرزوق به. و«الحسن» الذي لا يشوبه قبح في نوعه مثل قلة وجدان وقت الحاجة ووجه الشبه هو المعنى الحاصل في حال المشبه به من الحقارة وعدم أهلية التصرف والعجز عن كل عمل، ومن حال الحرية والغنى والتصرف كيف يشاء.

«فهو ينفق منه»: مفرَّعة على التي قبلها دون أن تجعل صفة للرزق للدلالة على مضمون كلتا الجملتين مقصود لذاته، كمالٍ في موصوفه، فكونه صاحب رزق حسن كمال، وكونه يتصرف في رزقه بالإعطاء كمال آخر، وكلاهما بضد نقائص المملوك الذي لا يقدر على شيء من الإنفاق ولا ما ينفق منه.

«سرًا وجهرًا» حالان من ضمير «ينفق»، وهما مصدران مؤولان بالصفة أي مُسرًا وجاهرًا بإنفاقه والمقصود من ذكرهما تعميم الإنفاق، وهذا مثل لغنى الله تعالى.

«هل يستوون» وجملة «هل يستوون» بيان لجملة «ضرب الله مثلاً»، فبين غرض التشبيه بأن المثل مراد منه عدم تساوي الحالين ليستدل به على عدم مساواة أصحاب الحالة الأولى لصاحب الصفة المشبهة بالحالة الثانية والاستفهام مستعمل في الإنكار.

«الحمد لله»: جملة «الحمد لله» معترضة بين الاستفهام المفيد للنفي وبين الإضراب بـ «بل» الانتقالية، والمقصود من هذه الجملة أنه تبين من المثل اختصاص الله بالإنعام، فوجب أن يختص بالشكر وأن أصنامهم لا تستحق الشكر، ولما كان الحمد مظهرًا من مظاهر الشرك في مظهر النطق جعل كناية عن الشكر هنا، إذ كان الكلام على إخلال المشركين بواجب الشكر إذ أثنوا على الأصنام وتركوا الثناء على الله.

جيء بهذه الجملة البليغة الدلالة المفيدة انحصار الحمد في ملك الله تعالى.

«بل أكثرهم لا يعلمون»: أسند نفي العلم إلى أكثرهم لأن منهم من يعلم الحق ويكابر استبقاء للسيادة واستجلابًا لطاعة دهمائهم، فهذا ذمٌّ لأكثرهم بالصراحة، وهو ذم لأقلهم بوصمة المكابرة والعناد بطريق التعريض. (التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٤/١ وما بعده).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تراجم أئمة القراءات

الحلقة السادسة

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلا عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الإمام أبو جعفر المدني:

هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي المدني، وقيل اسمه فيروز، وهو تابعي جليل وأحد القراء العشرة الأعلام.

قرأ على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وقد ذكر جماعة أنه قرأ على أبي هريرة وابن عباس روايتهم عن أبي بن كعب.

قرأ عليه نافع، وعيسى بن وردان، وسليمان بن جماز، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وطائفة.

حدَّث عن أبي هريرة وابن عباس، وهو مقل في الرواية، ولكنه إمام في القراءة.

وحدَّث عنه الإمام مالك- في غير الموطأ-، وعبد العزيز الدراوردي، وابن أبي حازم.

ثناء العلماء عليه:

قال عنه سليمان بن مسلم: كان من أقرأ الناس.

وقال يحيى بن معين: كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القارئ بذلك، وكان ثقة قليل الحديث.

وقال أبو الزناد: لم يكن أحد أقرأ للسنة من أبي جعفر، وكان يقدم في زمانه على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج.

من مناقبه وأحواله:

كان من العُبَّاد، يقوم الليل ويتصدق حتى بإزاره.

روى سليمان بن جماز عنه: أنه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وهو صوم داود عليه السلام، واستمرَّ على ذلك مُدَّة من الزمان، فقال له بعض أصحابه في ذلك، فقال: إنَّما فعلتُ ذلك، أروِّض به نفسي لعبادة الله تعالى.

عن نافع بن أبي نُعَيْم قال: كان أبو جعفر يقوم الليل، فإذا أصبح جلس يُقْرِئ النَّاس، فيقع عليه النوم، فيقول لهم: خذوا الحصا فضَعُوه بين أصابعي ثم ضمُّوها، فكانوا يفعلون ذلك.

وقال له رجل: هنيئا لك ما آتاك من القرآن، قال: ذاك إذا أحللتُ حلاله، وحرمتُ حرامه، وعملت بما فيه.

روى إسحاق المسيبي عن نافع قال: لما غُسِّل أبو جعفر، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن.

وفاته: مات بالمدينة سنة ثلاثين ومائة، وقيل غير ذلك، وعاش- رحمه الله- نيفا وتسعين سنة.

راويا أبي جعفر

١- ابن وَردان:

هو عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء، إمام متقن حاذق وراو محقق ضابط، قرأ على أبي جعفر وشيبة بن نصاح، ثم عرض على نافع بن أبي نعيم، وهو من جلة أصحاب نافع وقدمائهم.

روى عنه القراءة عرضًا إسماعيل بن جعفر المدني، وقالون، والواقدي، وغيرهم.

مات في حدود الستين ومائة.

فائدة:

(«أخذ القراءة عرضًا»: معناه أن يقرأ الطالب والشيخ يسمع منه، والعرض على الشيوخ هو المقدم عند القراء وهو سنة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل، وثبت أن ابن مسعود عرض على النبي صلى الله عليه وسلم حين



قرأ عليه من سورة النساء).

٢- ابن جَمَّاز:

هو سليمان بن مسلم بن جماز المدني، أبو الربيع الزهري، مقرئ جليل، ضابط حاذق.

قرأ على أبي جعفر، وشيبة، ونافع.

وقرأ عليه: إسماعيل بن جعفر، وأخوه يعقوب، وقتيبة بن مهران، والوليد بن مسلم.

توفي بالمدينة نحو سنة سبعين ومائة.

الإمام يعقوب الحضرمي

هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق أبو محمد الحضرمي، البصري، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها.

أخذ القراءة عرضًا على سلام الطويل، وشهاب بن شُرنُفَة ومهدي بن ميمون، وأبي الأشهب العطاردي، ومسلمة بن محارب، ويونس بن عبيد، وسمع الحروف من الكسائي، ومحمد بن زريق الكوفي عن عاصم، وسمع من حمزة حروفًا، وقيل قرأ على أبي عمرو.

فائدة: («روى الحروف عن فلان» أنه أخذ عنه الكلمات القرآنية المختلَف فيها، دون أن يقرأ عليه القرآن كله).

روى القراءة عنه عرضًا: زيد بن أخيه أحمد، وكعب بن إبراهيم، وعمر السراج، وأبو حاتم السجستاني، وأبو عمر الدوري، وروح بن عبد المؤمن، ومحمد بن عبد المتوكل رويس، وغيرهم.

وقراءة يعقوب متواترة، قال ابن الجزري رحمه الله: ومن أعجب العجب، بل من أكبر الخطأ جعل قراءة يعقوب من الشواذ.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف، والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن ولحديث الفقهاء.

وقال الداني: وائتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو، فهُمْ أو أكثرهم على مذهبه.

وقال ابن أبي حاتم: سُئل أحمد بن حنبل عنه. فقال: صدوق، وسئل أبي عنه فقال: صدوق.

وقال أبو الحسن بن المنادي: كان يعقوب أقرأ أهل زمانه، وكان لا يلحن في كلامه.

من أخلاقه وأحواله:

قال أبو القاسم الهذلي: لم يُرَ في زمن يعقوب مثله، كان عالمًا بالعربية ووجوهها، والقرآن واختلافه، فاضلاً تقيًا ورعًا زاهدًا، بلغ من زهده أنه سُرق رداؤه عن كتفه وهو في الصلاة فلم يشعر، ورُدَّ إليه ولم يشعر لشغله بالصلاة، وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يَحْبِس ويُطلِق.

وفاته: قال البخاري وغيره: مات في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة.

راويا يعقوب

١- رُوَيس:

هو محمد بن المتوكل، أبو عبد الله اللؤلؤي البصري، المعروف برويس، مقرئ حاذق ضابط مشهور.

أخذ القراءة عرضًا على يعقوب الحضرمي، وختم عليه ختمات، وهو من أحذق أصحابه.

وروى القراءة عنه: محمد بن هارون التمار، وأبو عبد الله الزبير بن أحمد الزبيري.

توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

٢- رَوْح:

هو رَوْح بن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي مولاهم البصري النحوي، مقرئ جليل ثقة ضابط مشهور.

عرض على يعقوب الحضرمي، وهو من جلة أصحابه، وروى الحروف عن أحمد بن موسى، ومعاذ بن معاذ، وابنه عبيد الله بن معاذ، كلهم عن أبي عمرو وعن حماد بن شعيب صاحب خالد بن جَبَلة، وعن محمد بن صالح المريّ صاحب شبل.

وقرأ عليه: الطيِّبُ بن الحسن بن حمدان القاضي، وأبو بكر محمد بن وهب الثقفي، ومحمد بن الحسن بن زياد، وأحمد بن يزيد الحُلْواني، وغيرهم.

وروى عنه البخاري في صحيحه، وعبد الله بن أحمد، وأبو يعلى الموصلي.

مات سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الصبر على فعل الطاعات

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

(البقرة: ٤٥-٤٦).

من أقوال السلف

عن الحسن قال: "إنما هلك مَن كان قبلكم حين تشعَّبت بهم السُّبل، وحادوا عن الطريق، فتركوا الآثار، وقالوا في الدين برأيهم، فضلوا وأضلوا" (الاعتصام للشاطبي).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أُعلِّمك كلِمات تقُولينهُنَّ عِند الكَربِ أوْ في الكَرب: اللهُ اللهُ ربِّي لا أُشرِكُ بهِ شَيئًا».

(سنن أبي داود ١٥٢٥ وصححه الألباني).

من حكمة الشعر

في الانشغال بالنفس عن الغير

المرء إن كان عاقلًا ورعًا
أشغله عن عيوبه ورعه
كما السقيم المريض يشغله
عن وجع الناس كلهم وجعه

(تفسير القرطبي).

من سير الخلفاء

كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حمص إلى عمر: «إن مدينة حمص قد تهدم حصنها، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إصلاحه» فكتب إليه عمر «أما بعد، فحصِّنها بالعدل، والسلام» (عيون الأخبار).



إعداد : علاء خضر

حكم ومواعظ

عن الأحنف قال: لا صديق لملول "أي: ذي ملل"، ولا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل، ولا سؤدد لسيء الخُلق".

(عيون الأخبار).



من هدي رسول الله ﷺ في التواضع

عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الأحزاب ينقل التّراب، وقد وارى التّراب بياض بطنه، وهو يقول: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدّقنا ولا صلّينا، فأنزل السّكينة علينا، وثبّت الأقدام إن لاقينا، إنّ الألى قد بَغَوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا" (صحيح البخاري).

من دلائل النبوة

التحذير من تقليد اليهود والنصارى في كل شيء

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سَنَن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ تبعتموهم". قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟" (متفق عليه).

خلق سيء فاحذره

عن يحيى بن معاذ الرّازيّ قال: "ليكن حظّ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضرّه، وإن لم تفرحه فلا تغمّه، وإن لم تمدحه فلا تذمّه".

(جامع العلوم والحكم).

من فضائل الصحابة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هذه زوجتك في الدنيا والآخرة". (رواه الترمذي ٣٨٨٠ وصححه الألباني).

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

الحلقة (١٠١)

حجاب المرأة المسلمة (١١)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: نواصل حديثنا بعون الله تعالى عن حجاب المرأة المسلمة، وقد تكلمنا في الحلقات السابقة عن آيات الحجاب، ثم انتقلنا إلى الأحاديث، وذكرنا منها ستة أحاديث، ونستأنف البحث.

الحديث السابع:

عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان لإحداكن مُكاتب، فكان عنده ما يؤدِّي فلتحتجب منه" (سنن الترمذي وغيره ح ١٢٦١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم على التورع، وقالوا: لا يعتق المكاتب وإن كان عنده ما يؤدي حتى يؤدي. وأخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ح ٢٨٦٧.

سند الحديث:

الحديث مداره على نبهان مولى أم سلمة رضي الله عنها وهو مجهول ولم يوثقه إلا ابن حبان، قال الإمام الشافعي: لم أر من رضيت من أهل العلم يثبت حديث نبهان هذا، وحديث نبهان قد ذكر فيه معمر سماع الزهري من نبهان إلا أن البخاري ومسلمًا صاحبي الصحيح لم يخرِّجا حديثه في الصحيح، وكأنه لم يثبت عدالته عندهما أو لم يخرج من حد الجهالة برواية عدل عنه، وقد روى غير الزهري عنه إن كان محفوظًا.

قال الشافعي رحمه الله: "وقد يجوز أن يكون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة، إن كان أمرها بالحجاب من مكاتبها، إذا كان عنده ما يؤدي على ما عظَّم الله به أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رحمهن الله، وخصصهن به، وفرق بينهن وبين النساء إن اتقين، ثم تلا الآيات في اختصاصهن بأن جعل عليهن الحجاب من المؤمنين، وهن أمهات المؤمنين ولم يجعل على امرأة سواهن أن تحتجب ممن يحرم عليه نكاحها، وكان في قوله صلى الله عليه وسلم - إن كان قاله - إذا كان لإحداكن - يعني أزواجه خاصة. (انظر السنن الكبرى للبيهقي ١٠-٥٤/-٥٥٠).

قال الحافظ ابن حجر عن نبهان: مقبول. ترجمة (٧٠٩٢٢) يعني عند المتابعة، وإلا فهو لَيِّن الحديث، فحديثه ضعيف إلا إذا تُوبِعَ، وقد تفرَّد بهذا الحديث - فيما أعلم- لم يرو عنه سوى الزهري ومحمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة، وقال الدارقطني في رواية محمد بن عبد الرحمن: غير محفوظ، وقال ابن حزم في المحلى: لا يوثق، وقال ابن عبد البر: مجهول، وقال الإمام أحمد: نبهان روى حديثين عجيبين: يعني هذا الحديث، وحديث: "أفعمياوان أنتما".

وقد ورد حديث بخلافه عن أم المؤمنين عائشة: أن سليمان بن يسار قال استأذنت

عليها، فقالت: من هذا؟ فقلت: سليمان: قالت: كم بقي عليك من مكاتبتك؟ قال: قلت عشر أواق، قالت: ادخل، فإنك عبدٌ ما بقي عليكَ درهم، وهذا إسناد صحيح. (انظر تحقيق الأرناءوط على حديث ٢٦٤٧٣ مسند أحمد، وحديث أم سلمة ضعَّفه من المعاصرين الأرناءوط، والألباني).

والحديث له رواية أخرى عن نبهان قال: كنت أقود بأم سلمة بغلتها، فقالت: يا نبهان كم بقي عليك من مكاتبتك؟ فقلت: ألف درهم. فقالت: أفعندك ما تؤدي به؟ فقلت: نعم. قالت: ادفعها إلى فلان أخ لها أو ابن أخ لها، وألقت الحجاب، وقالت: السلام عليك يا نبهان، هذا آخر ما تراني، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان لإحداكن مكاتب وعنده ما يؤدي فلتحتجب منه"، فقلت: ما عندي ما أؤدي ولا أنا مؤدٍّ. (مسند الحميدي ح ٢٩١).

الاستدلال من الحديث:

استدل به من أخذ بتحسين الترمذي والحاكم والذهبي، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إنه يقتضي أن كشف السيدة وجهها لعبدها جائز ما دام في ملكها، فإذا خرج منه-أي من ملكها وجب عليها الاحتجاب، لأنه صار أجنبيًا، فدل على وجوب احتجاب المرأة عن الرجل الأجنبي (انظر ثلاث رسائل في الحجاب ص٣٤).

قلت: والراجح أن الحديث ضعيف - فلا يؤخذ منه حكم - إلا أن الاستدلال منه على وجوب النقاب لغير أمهات المؤمنين، هو فرعٌ من الكلام عن الأدلة من القرآن والسنة التي خصت أمهات المؤمنين - وقد سبق بيان ذلك في المقالات السابقة.

الحديث الثامن:

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها" (صحيح البخاري).

الاستدلال من الحديث:

قال الشيخ التويجري: "وفي نهيه صلى الله عليه وسلم أن تباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها دليلٌ على مشروعية احتجاب النساء من الرجال الأجانب، وأنه لم يبقَ للرجال سبيل إلى معرفة الأجنبيات من النساء إلا من طريق الصفة أو الاغتفال ونحو ذلك، ولهذا قال: كأنه ينظر إليها فدلَّ على أن نظر الرجال إلى أجنبيات ممتنع في الغالب من أجل احتجابهن عنهم، ولو كان السفور جائزًا لما كان الرجال يحتاجون إلى أن تنعت لهم الأجنبيات من النساء، بل كانوا يستغنون بنظرهم إليهن كما هو معروف في البلدان التي قد فشا فيها التبرج والسفور". (الصارم المشهور ص٩٥).

قال أبو الحسن بن القابسي: "هذا من أبين ما تُحمَى به الذرائع، فإن وصفتها لزوجها بحسن خيفَ عليه الفتنة، فيكون ذلك سببًا لطلاق زوجته، ونكاحها إن كانت ثيبًا، وإن كانت ذات بعل كان ذلك سببًا لبغض زوجته ونقصان منزلتها عنده، وإن وصفتها بقبح، كان ذلك غيبة". (شرح صحيح البخاري لابن رجب ٧/٣٦٥- ٣٦٦).

قلت: هل المباشرة تعني قصر النظر على الوجه، وبالتالي فهذا دليل على وجوب النقاب؟ المباشرة أوسع من النظر إلى الوجه فقط، ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل من مباشرة الرجل؛ كما نهى المرأة من مباشرة المرأة، كما في الحديث الذي أخرجه الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يباشر الرجلُ الرجلَ، ولا المرأةُ المرأةَ". (والحديث أخرجه ابن حبان، وقال الألباني في التعليقات: الحسان صحيح

لغيره).
قال الطبري: وفيه من البيان أن مباشرة الرجل الرجل والمرأة المرأة مُفْض كل واحد بجسده إلى جسد صاحبه غير جائز.. وقد استدل الإمام مالك بحديث النهي عن المباشرة بعدم جواز تعري النساء بين بعضهن البعض، قال ابن القاسم: سئل مالك عن الخدم يبيتون عراة في لحاف واحد في الشتاء، فكرهه، وأنكر أن تبيت النساء عراة لا ثياب عليهن؛ لأن ذلك إشراف على العورات، وذلك غير جائز؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن مباشرة الرجال والنساء مع بعضهم البعض. (انظر شرح صحيح البخاري لابن رجب ٣/٣٦٥ - ٣٦٧).
ويرجِّح القولَ بأن المباشرة هي النظر إلى الجسد وليس إلى الوجه فقط، الحديثُ السابق الذي أشرت إليه: "لا يباشر الرجل الرجلَ، ولا المرأةُ المرأةَ"، وكذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا تُفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد". (رواه الترمذي).
قال ابن عبد البر وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلط بالناس من أجل أن يحزنه، ولا تباشر المرأة في ثوب واحد من أجل أن تصفها لزوجها حتى كأنه ينظر إليها". (انظر التمهيد ١٥/ ٢٩٣- ٢٩٤).
وقال ابن الجوزي: "ولا تباشر المرأةُ المرأةَ كأن المباشرة هاهنا مستعارة من التقاء البشرتين للنظر إلى البشرة، فتقديره: تنظر إلى بشرتها، وإنما نهى عن وصفها للزوج؛ لأن المحاسن إذا ذكرت أمالت القلب إلى الموصوف، وكم ممن قد عشق بالوصف". (كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/٢٩٩).
قال الحافظ ابن حجر: "لا تباشر المرأةُ المرأةَ"؛ زاد النسائي في روايته: "في الثوب الواحد". قوله فتنعتها لزوجها ووقع في رواية النسائي من طريق مسروق عن ابن مسعود: "لا تباشر المرأةُ المرأةَ والرجلُ الرجلَ"، وهذه الزيادة ثبتت في حديث ابن عباس عند النسائي، ثم جمع ابن حجر بين الحديثين، فقال: "وعند مسلم وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد بأبسط من هذا ولفظه: "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفْضِ الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا تُفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد".
قال النووي: "فيه تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل، والمرأة إلى عورة المرأة، وهذا مما لا خلاف فيه، وكذا الرجل إلى عورة المرأة والمرأة إلى عورة الرجل حرام بالإجماع.. ثم قال مستدلاً من الحديث: "ومما تعم به البلوى ويتساهل فيه كثيرٌ من الناس الاجتماع في الحمام، فيجب على من فيه أن يصون نظره ويده وغيرهما عن عورة غيره، وأن يصون عورته عن بصر غيره". (انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ٩/ ٣٣٨ - ٣٣٩).
وقال القاري في معنى المباشرة: "لا تباشر، من المباشرة، وهي الملامسة في الثوب الواحد، وكذا قيد في رواية النسائي" (انظر عمدة القاري ٢٠/٢١٩).
وقال القسطلاني مستدلاً من الحديث: "ويحرم اضطجاع رجلين أو امرأتين في ثوب واحد إذا كانا عاريين لما ذكر من الحديث السابق". (انظر إرشاد الساري ٨/١٢٠).
وفي مرقاة المفاتيح: "قال: والمباشرة يعني المخالطة والملامسة، وأصله من لمس البشرة البشرة" (انظر مرقاة المفاتيح ٥/٢٠٥٠).
وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

سبب محبة الله تعالى للعبد

إعداد
د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله على نعمه أولاً وأخيرًا، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد الذي أرسلهُ ربُّه بالحق شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وأصحابه ومن كان له مُعينًا وظهيرًا، ومن تبعه على دعوته وكان لأهلها مواليًا ونصيرًا.

وبعدُ؛ فإنَّ محبَّة الله تعالى لا تحصلُ للعبد إلا بعد القيام بمَحابِّ الله سبحانه وإتيان مَراضيه؛ إذ العَمَلُ الصالحُ سببُ حصول تلك المحبَّة ومقدِّمتُها، كما أنّ المحبةَ هي ثمرةُ ذلك العمل؛ فإذا كان حفظُ الجوارح يزرعُ الطاعةَ ويغرسُ العملَ الصالحَ، فإن المحبَّةَ هي ثمرةُ ذلك وحصادُه ومن هنا نستطيع أن نقول: إنَّ من أراد أن يَعلم محبَّةَ الله له- وهي الشأنُ الأعظمُ- فلينظر هل يوفَّقُ لحفظ جوارحِه من المعاصي أم لا؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والتقربُ إلى الله تعالى الذي يُثمر محبَّتَه يكون بأداء الفرائض والنوافل فالطرقُ التي بعث الله بها رسوله هي التقرب إلى الله بالفرائض، وبعد الفرائض بالنوافل، لا يُتقرَّب إليه إلا بفعل واجب أو مستحبٍّ وتستوي في ذلك الأمورُ الباطنةُ في القلوب والظاهرةُ للعيان، فحقائقُ الإيمان الباطنة في القلوب موافقةٌ لشرائع الإسلام الظاهرة على الأبدان". (الإيمان لابن تيمية: ص٣٤٤).

فكيف يصلُ العبدُ إلى أن تكونَ جوارحُه بهذا الوصف بحيثُ يصدقُ فيه قوله تعالى في الحديث القدسي: "كُنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَهُ التي يَبْطش بها، ورجلَه التي يَمْشي بها، فَبي يَسْمع، وبي يُبصر، وبي يَبطش، وبي يَمشي، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه" تفرَّد به البخاري.

الجواب: أنّ الوصولَ إلى هذه المنزلة، وتحقيقَ هذه المرتبة سهلٌ قريبٌ- مع قوّة العزيمة وعلوّ الهمّة-لا يحتاج المرءُ أن يطوِّح بفكره، ولا أن يُبعد به، وهو أن تعملَ الجوارحُ بكليَّتها على الظّفر بالطاعة، وترك المعاصي.

ومع هذه السهولة جوابًا إلا أنّ ذلك جدُّ صعب من جهة العمل، وعند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان، فالأمرُ يحتاجُ إلى عبد واسع الخَطْو في الطاعة سريع الإقدام إليها، مجتهدٍ في العض عليها، بيْد أنه في المعاصي يجب أن يكون ضيقَ الخُطى شديدَ الإحْجَام، كما يفتقرُ إلى صاحب جزْم في العبادة وحزْم، وعقْد في العمل الصالح وإبرام، وأن يكونَ ذلكَ بهمَّة طامحة إلى المَزيد من الطَّاعة، وقوّة جامحة إلى التزوُّد من العبادَة، وعزيمة جادَّة صادقَة في بلوغ المُراد كما قال القائل:

وعزيمتي مثلُ الحُسام وهمَّتي
نفسٌ أَصُولُ بها كنفس القَسْور
وإذا تُنازِعُني أقولُ لها اسْكُتي
قتلٌ يُريحك أو صعودُ المنبر

وأن يلزمَ عتبَة العبوديَّة ليلًا ونهارًا حتى تصبحَ العبودية همَّهُ الذي يجمعُ شمْلَه، وأن يطرُقَ أبوابَها مرارًا وتكرارًا، وإن لم يجدْ أولياءَ وأنصارًا، وبهذا يَبْلغ مَنَازلَ الأبرار، ويجاورُهم في الجنَّة؛ فنعْم عُقْبى الدار، وكذا أن يكونَ في أعمال الإيمان دائمَ الحل والتّرحَال، والمبارزة في ميدان العمل والنِّـزال، وبهذا يفوزُ العبدُ من المنازل بالقِدْح المعَلّى، ويتقلّدُ من مَحَاسن الأعمال بالصارم المحلّى، ومثل هذا يؤيَّد بالتّوفيق.



ويَركبُ كلَّ مَرْكَب في طلبِ الباقياتِ الصالحاتِ ويسلكُ كلَّ طريق.

وكذا العُلى لا يُستباحُ نكاحُها

إلا بحيثُ تُطلَّقُ الأعْمارُ

أمّا من يشتغلُ بصروفِ الدهرِ والفتنِ، ولا ينتبهُ لجريانِ العمرِ وتقادُمِ الزّمن، فإنّه لن يصلَ من الجِدِّ والاجتهادِ إلى حرْزٍ حريزٍ، ولنْ ينزلَ منهُ بالمنزلِ العزيزِ؛ لاستحواذِ الشّيطانِ عليْهِ وسلْبِه بضاعتَه التي يتاجرُ بها مع ربِّه، بل يكون حالُه أشبهَ ما يكون بامرأةٍ سلبَتْ حليّها فتركت عاطلاً، فبِمَ تُفاخرُ وتُطاولُ؟! أو فارسُ ميدانٍ أخذَ سلاحُه وتُركَ أعزلَ راجلاً فبِمَ يُصاولُ ويُحاولُ؟! وحالُ الجاهلِ مفتاحُ حتفه كما يُقالُ في الأمثال.

ورحمَ اللهُ تعالى أبا العَتاهيةِ حينَ قال:

حتّى متى ذو التّيه في تيهه
أصلحَهُ اللهُ وعافاهُ

يَتيه أهلُ الجهلِ في جهلِهم
وهم يموتون وإن تاهوا

منْ طلبَ العزَّ ليبْقَى به
فإنَّ عزَّ المرءِ تقواهُ

لمْ يعْتصم باللهِ من خَلْقه
من ليسَ يرْجوهُ ويَخْشاهُ

هنالك بعضُ الأمورِ التي من حققها بلغ المرادَ قبلَ موسمِ الحصاد، ومن فاتته زلّتْ به أقدامٌ، وضلّتْ منه أفهامٌ، ونزلَ المقامَ الضَّنْك، والمعْتَرَك الصعب، منها:

أولاً: تصحيحُ النيّة:

وهو شيءٌ عظيمُ النَّفعِ طيّبُ الوقْعِ، وفوائده تبلغُ الروابي وتملأ الخَوابي، وهو من أعظم الأعمالِ وأجلِّها قدْرًا؛ إذ إنّه يَنطق باستقامة القلبِ، وطهارةِ البواطنِ وسلامةِ الدَّواخل، لأنه عملٌ قلبيٌّ محضٌ لا علاقةَ للّسانِ به خُصوصًا وكذا الجوارحُ عمومًا، وهو شيءٌ ينطقُ بالحقائق ويُفصحُ عنها، فيُرى أثرُ ذلك على الجوارح ولذا يقول العلماءُ: النية محلُّها القلب، بل لو نوى شيئًا بقلبه ونطق اللسان بخلافه فالعبرة بما انعقد القلب عليه لا بما تكلم به اللسان.

ويدلُّ على ذلك قوله صلّى الله عَلَيْه وسَلَّم يقُولُ: "إنّما الأعمالُ بالنِّيّات، وإنّما لكُلِّ امرئٍ ما نَوَى" متّفقٌ عَلَى صحّته.

وهو مما يُريح الجوارح لأنه بتصحيح النيَّة يَعْظُمُ يسيرُ العمل، ويكثر قليلُه، ويكبر غنمُه، ويصغُرُ غرمُه، وكم من عمل صغير تُعظمه النيَّة، وكم من عمل كَبير تُصغّره النية، إذْ إنه يكونُ المعوَّلُ على القلب، وبقدْرِ ما في القلوب يتفاوتُ الناسُ، قال أَبُو عَبْدِ اللهِ الأنطاكيُّ: إِذَا صَارَتِ المُعَامَلَةُ إِلَى القَلْبِ، اسْتَرَاحَتِ الجَوارِحُ. (السير: ١٠/٤٨٨).

والعجبُ كلُّ العجبِ من انشغالِ الناس عنه مع سهولته وعدم كُلفَته، وعظيم أجره، ورفعة قدره، فرُبَّ رجل وهو على الفُرُش يسبق بنيّته من يُصلّي ويصوم ويحجّ ويعمل الصالحات، بل يسبقُ من يكونُ قتيلاً بين الصفين. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: "إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُمْ بِالمَدِينَةِ؟ قَالَ: "وَهُمْ بِالمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ" رواه البخاري (٤٤٢٣).

ومن ذلك أيضًا ما وقع لأُصَيْرِمِ بْنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ رضي الله عنه الذي قتل يوم أُحد ولم يسجدْ لله سجدةً ودخل الجنة، فعن أبي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: "أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ"، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا" روا البخاري: «٢٨٠٨».

قال الحافظ ابن حجر: وَقد أخرج ابن إِسْحَاق فِي المَغَازِي قِصَّة عَمْرو بْن ثَابت بِإِسْنَاد صَحِيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَخْبِرُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ صَلَاةً ثُمَّ يَقُولُ: هُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ اهـ. فتح الباري: ٦/٢٥، «٢٨٠٨».

تفاوتُ النّاس بتفاوُت نيّاتهم:

وإنما يتفاوت أكثر الناس بنياتهم وبواعثهم وإخلاصهم لله تعالى؛ لأن النيَّةَ ركنُ العمل الرَّكين وأصلُه الأصيل، وعمودُ خيْمته الذي به

قيامُها وبغيره تقويضُها.وهل قَبِلَ الله توبةَ قاتل المائة نفس إلا لنيَّته التوبة وصدقه في ذلك حتى دخل الجنّة بغير عملٍ قليلٍ ولا كثيرٍ سوى صدقِ النيَّة، وحَسبُك به عملاً إن صدقَ صاحبُه؛ فإنّ الرجلَ قتل تسعةً وتسعين نفساً،فلمَّا سأل العالم قال له: انطلقْ إلى أرض كذا وكذا، فإنّ بها أُناساً يعبُدونَ الله تعالَى فاعْبُدِ الله معَهُمْ،ولا ترْجِعْ إلى أرْضِك فإنَّها أرْضُ سُوء، فانطلق حتَّى إذا نصَف الطَّريقُ أتَاهُ الموْتُ فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرَّحْمَة وملائكةُ العَذاب.

فقالتْ ملائكةُ الرَّحْمَة: جَاءَ تائباً مُقْبِلاً بقلْبه إلى الله تعَالى، وقالتْ ملائكةُ العذاب: إنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خيْراً قطُّ. فأتَاهُمْ ملَكٌ في صُورَة آدَميٍّ فجعلوهُ بيْنَهُمْ أي-حَكَماً- فقال: قيسُوا ما بَيْنَ الأرْضين فإلى أيَّتهما كان أدْنى فهُو له، فقاسُوا فوجَدُوه أدْنَى إلى الأرْض التي أراد فقبَضَتْهُ ملائكةُ الرَّحمة" متفقٌ عليه.

وفي رواية في الصحيح: "فكان إلى القرْيَة الصَّالحة أقْربَ بشبْر، فجُعل منْ أهْلها".

وفي رواية في الصَّحيح: " فأوْحَى الله تعالَى إلى هَذه أنْ تبَاعَدي، وإلى هَذه أنْ تَقرَّبي وقال: قيسُوا مَا بيْنهمَا، فوَجدُوه إلى هَذه أقْرَبَ بشبْر فغُفرَ لَهُ" وفي رواية: "فنأى بصَدْره نَحْوَهَا".

وتصحيحُ النيَّة يكونُ باستحضارها من غير تكلُّف فهي تأتي عَفْوًا من غير اعتمَال، وتكون سليقةً من غير افْتعال، بل هو أمرٌ يحضُرُ القلبَ، ويغلبُ على الذِّهن، ويتردَّدُ على البَال عند الهمِّ بالعمل، ويهجمُ على النَّفْس بتوكيد الثِّقة في النَّفس بالرَّغبة في العمل الصالح.

والنَّفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتها
وإذا تُردُّ إلى قليل تقنعُ

ومن صحَّتْ نيتُه صحَّتْ بدايتُه ونهايتُه؛ لأن النيّة أساسُ العمل، وطليعةُ القلب، والموفَّق من رُزِق حُسْن النية، وأُلْهم تقواه وقتَ العمل؛ فاللهم أصلح نيَّاتنا.

إن من فاته تصحيح النية قارنه الخذلان واستحوذ عليه الشيطان لأن التوفيق على قدر النوايا

ثانيا: التحفُّظ من السيئات:

وهـذا أمـرٌ استدامتُه لغير الأنبياء محالٌ؛ لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء والرسل، أمَّا البُعْد عن أكثر السيئات فهو في الإمكان، والعبرةُ بالغالب فإذا غلَبَتْ على المرء الطاعةُ، وكان من شأنه وعادته بغْض المعاصي وتركُها؛ فلن يقعَ في المعصية إلا قليلًا، ومثلُ هذه المعاصي مع التوبة والاستغفار وتزكية النفوس تذهبُ إلى العدم، وتصبحُ كالسَّراب، أو كرَمَاد اشتدَّتْ به الريحُ في يوم عاصف فلا يَبْقى منه أثرٌ ولا عينٌ.

وبقدر ما يَحتاط المرءُ، ويبتعدُ عن الخَطايا بقدر ما تَقلُّ ذنوبُه، ومن دَعوات الملائكة حَمَلَةَ العرش للذين آمنوا قوله تعالى: « وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ » (غافر: ٩).

إن المجانبةَ للسَّيئات تؤلِّف قلب العبد على الطاعة، وتجعلُها إليه أحب البضاعة، على العكس من غشْيَان المعاصي فإنه يجعل في المرء مشايعةَ الشيطان بعد حبِّ الطاعة والمتابعة ويحدثُ في النَّفْس بعد التَّواصل بالعبادةَ القطيعةَ لها والمدابرة، ويُنبت فيها بعد المحبَّة البغضاءَ للعمل الصالح والمنافرة، وهذا شأنُ كلِّ من خالفَ ما جاءَهُ من الهُدى تحلّ به الرزايا والردى؛ لأن الطاعةَ نجاةٌ والسيئات هلكةٌ، وهذا واضح بيِّنٌ في حال الناس لا خفاءَ به، فتجدُ المرءَ بعدما كان في المُلك يصيرُ إلى الهُلك ويُحطّ بعد الرِّفعة ويذلّ بعد العزّ والمَنَعَة، جزاء بما اقترفوا من الكبائر والموبقات، واجترحُوا من السَّيِّئات ورحـمَ الله تعالى الإمـامَ ابنَ القيِّم حين قال: المَعْصيَةَ تُورثُ الذُّلَّ وَلا بُدَّ؛ فإنَّ العزَّ كلَّ العزِّ في طَاعَة الله تعَالَى، قَالَ تَعَالَى: « مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا »(فاطر: ١٠) أيْ فَلْيَطْلُبْهَا بطاعة الله، فإنَّهُ لا يَجدُهَا إلَّا في طاعَة الله. وكَانَ منْ دُعَاء بَعْض السَّلَف: اللَّهُمَّ أَعزَّني بطَاعَتكَ وَلا تُذلَّني بمَعْصيَتكَ. وقَالَ الحَسَنُ البَصْريُّ: إنَّهُمْ وَإنْ طَقْطَقَتْ بهمُ البِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بهمُ البَرَاذينُ، إنَّ ذُلَّ المَعْصيَة لا يُفَارقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى الله إلَّا أنْ يُذلَّ مَنْ عَصَاهُ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الحلقة الثالثة

نظرات في كتاب:
إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد

إعداد الشيخ محمد عبد العزيز

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فهذه هي المقالة الثالثة والأخيرة عن كتاب إحكام الإحكام، للإمام ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى، وقد سبق أنه كتاب عظيم، قلَّ أن تجد له نظيرا، لا يستغني عنه عالم متقن، ولا طالب علم متوسط، ففيه مباحث شريفة، وفوائد منيفة، وتدقيقات قل أن تجتمع في مثله، وهو من أحسن الكتب التي تربي الملكة في استنباط الأحكام الفقهية.

وسوف ينتظم هذا المقال عددا من المباحث المختصرة:

الأول: سبب تأليف الكتاب.

الثاني: صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

الثالث: هل للكتاب إبرازتان؟(روايتان)

الرابع: حول اسم الكتاب.

الخامس: منهج المصنف في الكتاب.

السادس: أهم طبعات الكتاب.

المبحث الأول: سبب تأليف الكتاب:

هذا الكتاب إملاء أملاه الشيخ المصنف رحمه الله تعالى على عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن الأثير بطلب منه؛ قال ابن الأثير في مقدمة الكتاب (١/ ١٧٣): «فأملى عليَّ من معانيه كل فن غريب، وكل معنى بعيد على غيره أن يخطر بباله وهو عليه قريب، فعلقت ما أورده، وحمت حول مورد فضله رجاء أن أرد ما ورده».

واشتهر الكتاب بعد ذلك بإظهار ابن الأثير له فكان يقرأ على مصنفه، قال الصفدي في أعيان العصر (١/ ٤٩٨): «وهو الذي علق الشرح من الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد على العمدة، وهو الذي أبرز إلى الوجود عقده».

المبحث الثاني: صحة نسبة الكتاب إلى مصنفه:

الكتاب صحيح النسبة إلى مصنفه، وشهرة ذلك عند أهل العلم تغني عن الخوض في هذه المسألة، لكن أشير إلى ذلك إشارات تبين صحة هذه النسبة:

أولاً: نسب الكتاب لابن دقيق العيد كلُّ مَن ترجم له.

ثانيًا: نقل منه، وعزا إليه جمع كبير من أهل العلم المحققين كالحافظ ابن حجر.

ثالثًا: جاء على مخطوطات الكتاب نسبته إلى ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى.

رابعًا: شَرْحُ بعض أهل العلم له كالإمام الصنعاني في حاشيته العدة عليه.

المبحث الثالث: هل للكتاب إبرازتان؟ (أي روايتان)

الكتاب كما هو مشهور ليس له إلا إبرازة واحدة فقط هي التي أملاها ابن دقيق العيد على ابن الأثير، وكانت تقرأ على الإمام فيجيز بها.

ولم يشر أحد ممن نقل منه كالحافظ ابن حجر وهو من هو تحقيقًا، ولا من ترجم للمصنف أو للعماد بن الأثير، ولا من شرح كتاب الإحكام كالصنعاني، أو من شرح العمدة، وهم كثر أن للكتاب إبرازتين.

وكذا نسخ الكتاب الخطية، وهي كثيرة قد زادت عن عشر نسخ خطية متفقة، وليس فيها من الفروق إلا ما يوجد من فروق الناسخين في أي كتاب من الكتب المنسوخة الأخرى.

لكن قد قال الشيخ أحمد شاكر في مقدمة تحقيقه مع الشيخ محمد حامد الفقي للكتاب (١/ ١٣): «أما وقد وجدنا أصلاً آخر قرئ على المؤلف الأصلي الذي أملى الكتاب، والذي هو من تأليفه حقًا، فلا مندوحة لنا من اعتماده أولاً على أنه الأصل الأصيل للكتاب، واعتبار نسخة ابن الأثير فرعًا أو رواية أخرى، قد يتصرف فيها راويها بما كان من حقه في استملاء الكتاب من مؤلفه».

فتلقف ذلك بعض طلاب العلم في المنتديات العلمية مدعيًا أن للكتاب روايتين....

وهذه دعوى لا تستند سوى على التخمين فجميع نسخ الكتاب متحدة في التجزئة والعبارة، وكثير منها مقروء على المصنف.

ولا فرق بين النسخة التي قرأها ابن سيد الناس سنة ٦٩٨ هـ، والتي جعلها الشيخ أحمد شاكر أصلاً في تحقيقه للكتاب وبين باقي المخطوطات، وكذا لو قارنت ما ينقله شراح العمدة من ابن دقيق في شروحهم لعلمت أنهم ينقلون من أصل واحد.

وهذا صاحب العدة لم يشر ولو في مقام واحد إلى اختلاف روايات الإحكام.

وقد حُقِّق الكتاب على أكثر من عشر نسخ خطية في أربع رسائل علمية من ضمنها المخطوطات الثلاثة التي حقَّق عليها الكتاب الشيخ أحمد شاكر فلم يظفر بفرق مؤثر بينها وبين نسخة ابن الأثير.

المبحث الرابع: اسم الكتاب:

أولى أسماء الكتاب بالصواب: إحكام الأحكام في شرح أحاديث سيد الأنام؛ لما جاء في مقدمة الكتاب (١/ ١٧٤): «وسميت ما جمعته من فوائده، والتقطه من فرائده: إحكام الأحكام في شرح أحاديث سيد الأنام».

وقد جاء في ترجمة المصنف له أسماء أخرى منها: شرح العمدة، أو شرح عمدة الأحكام، أو شرح العمدة في الأحكام، أو إحكام الأحكام في شرح العمدة من أحاديث لأحكام، وجاء في النسخة التي اعتمدها الشيخان أحمد شاكر، ومحمد حامد الفقي: الإحكام في شرح عمدة الأحكام من أحاديث النبي عليه أفضل السلام.

المبحث الخامس: منهج المصنف فيه:

يمكن حصر معالم منهج المصنف في نقاط:

١- يغلب على الشرح طابع الاختصار، فلا يخرج المصنف غالبًا عن ألفاظ الحديث المراد شرحه، وقد يستطرد في شرح بعض الأحاديث كما في الأحاديث الثلاثة الأولى.

٢- ينقل المصنف الحديث من العمدة في أول الشرح، وينقل بعده قول صاحب العمدة.

٣- المصنف رحمه الله تعالى لا ينبه على أوهام صاحب العمدة غالبًا، وقد ينبه عليها أحيانًا كما فعل في أكثر من موضع في كتاب الحج.

٤- حافظ المصنف على ترتيب صاحب العمدة في سياقه للأحاديث.

٥- شرح المصنف كل حديث على حدة، وإن كان يمكن ضم بعضها لبعض.

٦- يبدأ المصنف غالبًا بترجمة راوي الحديث من الصحابة عند أول ذكره، وقد يؤخر الترجمة أحيانًا فيذكرها في آخر

شرحه، وقد يترجم أحيانًا للتابعين كابن سيرين.

٧- يقسم المصنف شرحه للحديث على مسائل أو مباحث، وقد يقسم الشرح على ترتيب ألفاظ الحديث.

٨- يبدأ المصنف بذكر مذهب الشافعية ثم المالكية فهما المذهبان اللذان تمذهب بهما، ويذكر في الخلاف مذهب أبي حنيفة، وقليلاً ما يذكر خلاف الحنبلية، وإن ذكره أحيانًا كما في الحديث الخامس من كتاب الحج.

٩- يهتم المصنف جدًا بذكر علة الخلاف لاسيما الأصولي ويبين أثره في اختلاف الفقهاء في المسألة.

١٠- يذكر المصنف الخلاف في المسألة، وغالبًا لا ينسب الأقوال إلى قائليها.

١١- ينقل المصنف غريب الحديث غالبًا من شرح النووي على مسلم، وإن لم ينبه على ذلك.

١٢- المصنف رحمه الله تعالى يخلع ربقة التقليد في شرحه هذا، فلا تلحظ عليه تعصبًا لمذهب بعينه، بل قد يذكر مذهبًا لا يتمذهب به ولا يذكر غيره لقوله به اجتهادًا كما فعل في شرحه للحديث الأول من كتاب العيدين فقد قال في (١/ ٣٤١) (من طبعة أنصار السنة):

«صلاة الجمعة هي صلاة الظهر حقيقة، وإنما قصرت بشرائط، منها الخطبتان».

وهذا قول الحنفية، وقد خالفوا فيه الجمهور.

١٣- يذكر المصنف في شرحه كثيرًا من القواعد والفوائد الحديثية، والفقهية، والأصولية، وهذا يربي الملكة العلمية عند طالب العلم.

المبحث السادس: أهم طبعات الكتاب:

للكتاب طبعات كثيرة من أهمها:

١- طبعة المطبع الأنصاري بدهلي سنة: ١٣١٣ هـ، في مجلد.

٢- طبعة الشيخ محمد منير الدمشقي في مصر سنة: ١٣٤٢ هـ، في مجلدين.

٣- طبعة مطبعة السنة المحمدية سنة: ١٣٧٢ هـ في مجلدين، بتحقيق الشيخ: محمد حامد الفقي، ومراجعة الشيخ: أحمد محمد شاكر، وهي من أحسن وأتقن طبعات الكتاب.

٤- طبعة مكتبة السُّنَّة الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٤ هـ، وقد كتب عليها حققها، وراجعها، وقدَّم لها، وراجع نصوصها: علامة مصر ومحدثها: أحمد محمد شاكر، وهذا خطأ بين فهي طبعة أنصار السنة التي بتحقيق الشيخ: محمد حامد الفقي، ومراجعة الشيخ: أحمد محمد شاكر، فحذف الناشر منها اسم الشيخ: محمد حامد الفقي.

٥- طبعة مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، وأسفار لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣٨ هـ في أربعة مجلدات، وأصلها أربع رسائل علمية لنيل درجة الماجستير للباحثين: عبد المجيد خليل العمري، ويونس الوالدي، وإما حسن آية الله، وأحمد عبد الرحمن حيفو.

وقد حقق بطريقة النسخة المختارة على نسخة المكتبة المحمودية كأصل، ويوجد لها صورة بمكتبة المسجد النبوي (١٥٣/ ٢١٣)، وثلاث نسخ خطية أخرى مساعدة، وهي نسخة المكتبة الأزهرية (٧٤٧ أباظة ٦٣٠٥)، ونسخة المكتبة الأزهرية (٦٣٨ . ٥٦٦٢)، ونسخة مكتبة: تشستربيتي (٣٣٨٦)، وسبع نسخ خطية أخرى استفاد منها الباحثون عند وجود إشكال.

وهذه الطبعة هي أحسن طبعات الكتاب، وأتقنها، وهي طبعة فخمة، لا يعيبها سوى غلاء ثمنها فقد تجاوز ثمنها في مصر الآن ٨٠٠ جنيه.

هذا ما يسره الله لي في هذا المقال، فإن يكن خيرًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله منه.

وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.



أحكام الصلاة

الحلقة الثانية

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد تكلمنا في الحلقة السابقة عن الأوقات المنهي عن الصلاة فيها؛ فذكرنا الأحاديث التي ورد النهي فيها عن أداء الصلاة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن الحكمة من النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، ثم بينًا أن هذه الأوقات اختلف العلماء فيها في موضعين؛ أحدهما: في عددها. والثاني: في الصلوات التي يتعلق النهي عن فعلها فيها. ثم تكلمنا عن نوع الحكم المستفاد من النهي عن أداء الصلاة في هذه الأوقات، ونبدأ في هذه الحلقة الحديث عن مسائل منها.

أولاً: هل يشمل النهي الصلوات المفروضة؟

قال الحنفية: «يكره تحريماً فيها كل صلاة مطلقاً، فرضاً أو نفلاً، أو واجباً، ولو قضاء لشيء واجب في الذمة إلا فرض عصر اليوم أداء. ودليلهم عموم النهي عن الصلاة في هذه الأوقات. وأما عدم صحة القضاء؛ فلأن الفريضة وجبت كاملة فلا تتأدى بالناقص.

ولا يصح أداء فجر اليوم عند الشروق؛ لوجوبه في وقت كامل فيبطل في وقت الفساد، وفي القنية: »كسالى العوام إذا صلوا الفجر وقت الطلوع لا ينكر عليهم؛ لأنهم لو مُنعُوا يتركونها أصلاً، ولو صلوها تجوز عند أصحاب الحديث، والأداء الجائز عند البعض أوْلى من الترك أصلاً. (البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين ابن نجيم ١/ ٢٦٤).

ويصح أداء العصر مع الكراهة التحريمية، لما روى الجماعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر، ومن أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح».

وقد رد الحنفية على التفرقة بين العصر والصبح مع أن هذا الحديث يسوِّي بينهما: بأن التعارض لما وقع بينه وبين النهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة، رجعنا إلى القياس، كما هو حكم التعارض، فرجحنا حكم هذا الحديث في صلاة العصر، وحكم النهي في صلاة الفجر. (رد المحتار: ١/ ٣٤٦).

وأجيب بأن هذه التفرقة غير مقبولة؛ لأنه يلزم عليها العمل ببعض الحديث وترك بعضه.

وقال المالكية والشافعية والحنابلة: «يجوز أداء وقضاء الفرائض الفائتة في جميع أوقات النهي وغيرها، واحتج القائلون بجواز قضاء الفرائض في هذه الأوقات بعموم حديث أنس: «من نام عن صلاة أو نسيها، فليصلها إذا ذكرها» متفق عليه، ولحديث أبي قتادة: «ليس في النوم تفريط، وإنما التفريط في اليقظة، فإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها». أخرجه مسلم. (الفقه الإسلامي وأدلته). فجعلوا هذا مخصصًا لأحاديث النهي.

وسبب الخلاف في ذلك: اختلافهم في الجمع بين العمومات المتعارضة في ذلك: أعني الواردة في السنة، وأي يخص بأي؟ وذلك أن عموم قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا نسي أحدكم الصلاة، فليصلها إذا ذكرها» يقتضي استغراق جميع الأوقات، وقوله في أحاديث النهي في هذه الأوقات: نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة فيها يقتضي أيضًا عموم أجناس



الصلوات، فمتى حملنا الحديثين على العموم في ذلك، وقع بينهما تعارض، هو من جنس التعارض الذي يقع بين العام والخاص، إما في الزمان، وإما في اسم الصلاة.

فمن ذهب إلى الاستثناء في الزمان: أعني استثناء الخاص من العام، منع الصلوات بإطلاق في تلك الساعات، ومن ذهب إلى استثناء الصلاة المفروضة المنصوص عليها بالقضاء من عموم اسم الصلاة المنهي عنها، منع ما عدا الفرض في تلك الأوقات. (بداية المجتهد، لابن رشد الحفيد ٨٦/١ بتصرف).

قال الشوكاني: «وليس أحد العمومين أولى بالتخصيص من الآخر، وكذلك الكلام في فعل الصلاة المفروضة في هذه الأوقات أداء إلا أن حديث: (من أدرك من الفجر ركعة قبل أن تطلع الشمس، ومن أدرك من العصر ركعة قبل أن تغرب الشمس) أخص من أحاديث النهي مطلقًا فيُقدَّم عليها». (نيل الأوطار ١١١/٣).

ثانيا: النهي عن الصلاة في وقت الزوال:

أما اختلافهم في وقت الزوال، فلمعارضة العمل فيه للأثر عند البعض، وتخصيصه عند البعض؛ وذلك أنه ثبت من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أنه قال: « ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ، أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ». أخرجه مسلم.

فاستثنى الإمام مالك من ذلك الصلاة وقت الزوال بإطلاق، واستثنى الإمام الشافعي وقت الزوال في يوم الجمعة فقط، وروى الترخيص يوم الجمعة عن طاوس والحسن ومكحول والأوزاعي وإسحاق وأبي يوسف، واختار ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. (انظر الأوسط لابن المنذر ٤٠٩/١، الاختيارات الفقهية لابن تيمية: ص ٦٦).

أما الإمام مالك، فلأن عمل أهل المدينة لما وجده على الوقتين فقط، ولم يجده على الوقت الثالث: أعني الزوال، أباح الصلاة فيه، واعتقد أن ذلك النهي منسوخ بالعمل. (بداية المجتهد، لابن رشد الحفيد ٨٦/١ بتصرف).

وقال الإمام مالك: لا أكره الصلاة نصف النهار إذا استوت الشمس في وسط السماء لا في يوم جمعة ولا في غيره، قال: ولا أعرف هذا النهي، قال: وما أدركت أهل الفضل والعباد إلا وهم يهجّرون ويصلون في نصف النهار في تلك الساعة ما يتقون شيئًا في تلك الساعة. (المدونة ٢٥٣/١).

وأما جمهور الفقهاء فبقوا على الأصل في النهي، ولم يستثنوا من ذلك شيئًا. لا فرق في وقت الزوال بين الجمعة وغيرها ولا بين الشتاء والصيف.

وأما استدلال أصحاب الإمام مالك على استثناء وقت الزوال مطلقًا بعمل أهل المدينة، واحتمال أن النهي منسوخ بعملهم فغير مُسَلَّم. لا سيما أنه جاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنهم استثنوا من أوقات النهي ما بعد العصر؛ حيث رخَّصوا في الصلاة بعدها، ولم يُنقل عنهم الرخصة في غيرها، فدلَّ ذلك على أن النهي عند الزوال باقٍ عندهم.

واستدل الشافعية ومن معهم على استثناء يوم الجمعة بما يأتي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة». (رواه البيهقي في السنن الكبرى، وضعفه الألباني برقم: ٦٠٤٨ في ضعيف الجامع).

وقوَّى هذا الأثر عند الشافعي العمل في أيام عمر بذلك، وإن كان الأثر عنده ضعيفًا.

قال النووي: «ومما يؤيد هذا ما رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح عن عمر بن أبي سهل بن مالك عن أبيه قال: كنت أرى طنفسة لعقيل بن أبي طالب تطرح يوم الجمعة إلى جدار المسجد الغربي، فإذا غشي الطنفسة كلها ظل الجدار خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (المجموع ٤٣١/٤).

والطنفسة بساط له خمل رقيق، والمعنى في طرح الطنفسة لعقيل عند الجدار، أدخل الإمام مالك هذا الخبر دليلاً على أن عمر بن الخطاب لم يكن يصلي الجمعة إلا بعد الزوال. (الاستذكار لابن عبد البر ١/٥٥).

٢- عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة، وقال: «إن جهنم تُسَجَّر إلا يوم الجمعة». (رواه أبو داود، وضعفه الألباني برقم: ١٨٤٩ في ضعيف الجامع).

ويجاب عنهما بأن حديثا أبي هريرة وأبي قتادة ضعيفان كما سبق ذلك في تخريجهما، وعلى فرض صحتهما فإنهما لا يقويان على معارضة حديث عقبة بن عامر الذي دل بعمومه على النهي عن الصلاة وقت الزوال بدون تفريق بين الجمعة وغيره.

واستدل جمهور الفقهاء بحديث عقبة بن عامر الجهني السابق، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عنه، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كنا نُنْهَى عن ذلك يعني يوم الجمعة، وقال سعيد المقبري: أدركت الناس، وهو يتَّقُون ذلك. وعن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه قال: «كنت أبقي -أي: أنتظر- أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا زالت الشمس قاموا فصلوا أربعًا». [المغني لابن قدامة ١/ ٧٩٥ بتصرف.

ورجَّحوا هذا الأثر الثابت من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم على عمل أهل المدينة الذي احتج به الإمام مالك، ولم يروا هذا العمل ناسخًا للحديث. وكذلك لم يروا ما احتج به الشافعية ومن معهم يصلح لتخصيص حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه لضعف حديثي أبي هريرة وأبي قتادة رضي الله عنهما.

قال الإمام ابن قدامة: «ولنا عموم الأحاديث في النهي، وذكر أحمد الرخصة في الصلاة نصف النهار يوم الجمعة قال: فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان؛ فإذا ارتفعت فارقها، ثم إذا استوت قارنها، فإذا زالت فارقها فإذا دنت للغروب قارنها فإذا غربت فارقها، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في تلك الساعات، ولأنه وقت نهي فاستوى فيه يوم الجمعة وغيره كسائر الأوقات، وحديثهم ضعيف في إسناده ليث وهو ضعيف وهو مرسَل؛ لأن أبا الخليل يرويه عن أبي قتادة ولم يسمع منه وقولهم أنهم ينتظرون الجمعة قلنا: إذا علم وقت النهي فليس له أن يصلي فإن شك فله أن يصلي حتى يعلم؛ لأن الأصل الإباحة فلا تزول بالشك». [المغني ١/ ٧٩٥.

قال أبو عمر ابن عبد البر: «وذكر الأثرم قال: سألت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل عن الصلاة نصف النهار يوم الجمعة، فقال: يعجبني أن تتوقاها، فذكرت له حديث ثعلبة بن أبي مالك القرظي: «كنا نصلي يوم الجمعة حتى يخرج عمر. قلت له هذا يدل على الرخصة في الصلاة نصف النهار، فقال: ليس في هذا بيان إنما جاء الكلام مجملاً، كنا نصلي، ثم قال لا، ولكن حديث النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه، إنما نهى عن الصلاة نصف النهار وعند طلوع الشمس وعند الغروب حديث عمرو بن عبسة وعقبة بن عامر والصنابحي. (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٦/٤).

والخلاصة: أن للعلماء في جواز الصلاة وقت الزوال ثلاثة مذاهب: قول بجواز الصلاة وقت الزوال اعتمادًا على عمل أهل المدينة، وقول بجواز الصلاة وقت الزوال يوم الجمعة فقط اعتمادًا على حديثي أبي هريرة وأبي قتادة وهما ضعيفان، وقول بعدم جواز الصلاة وقت الزوال اعتمادًا على أحاديث النهي، وهو القول الأقرب للصواب.

وللحديث بقية إن شاء الله.

إدارة الغضب بين التقييم والتقويم

بعض الطرق المقترحة لعلاج الانفعال الزائد

الحلقة الثانية

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
جامعة التضامن الفرنسية العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

تابع الطرق المقترحة لعلاج الانفعال والغضب

الطريقة الخامسة التفكر والتذكر:

عليه أن يتذكر ويتفكر ويبرمج عقله فيما يؤول إليه بسبب الغضب:

- يتفكر في قبح صورته عند الغضب.
- يذكر نفسه بانزواء الناس والقلوب عنه، ونفور النفوس منه بسبب غضبه.
- يذكر نفسه بالأجر والجزاء الأخروي، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: «لا تغضب ولك الجنة». (أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢٣٥٣).

يذكر نفسه بعاقبة العداوة والانتقام، وتشمير العدو وتجهيزه الرد بالشماتة بمصائبه، فإن الإنسان لا يخلو من المصائب فيخوف نفسه ذلك في الدنيا اتقاء عذاب الآخرة.

يذكر نفسه بأن النجاة من غضب الله هو ألا يغضب. عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله، ما يمنعني من غضب الله؟ قال: «لا تغضب» (أخرجه ابن حبان: ٢٩٦)؛ فالجزاء من جنس العمل، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله تعالى خيراً منه.

وقال أبو مسعود البدري رضي الله عنه: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود» قال: فألقيت السوط من يدي. فقال: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» قال: فقلت لا أضرب مملوكاً بعده أبداً. (أخرجه مسلم: ١٦٥٩).

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب، واحذر أن تظلم من لا ناصر له إلا الله». اهـ (البيان والتبيين ٤٥٦/١).

- ليعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى، لا على وفق مراده، فكيف يقدم مراده على مراد الله تعالى؟ (مختصر منهاج القاصدين - ابن قدامة - ٢٣٤).

تذكير نفسه بضرورة العمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني. قال «لا تغضب» فردد مراراً قال: «لا تغضب» (أخرجه البخاري: ٥٧٦٥).

فعلى العبد أن يمتثل لهذه الوصية، وأن يعمل بها، ولا شك أنها وصية جامعة مانعة لجميع المسلمين. قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله تعالى-: «هذا الرجل ظن أنها وصية بأمر جزئي، وهو يريد أن

يوصيه النبي صلى الله عليه وسلم بكلام كلي ولهذا ردد. فلما أعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، عرف أن هذا كلام جامع، وهو كذلك؟ فإن قوله: «لا تغضب» يتضمن أمرين عظيمين: أحدهما: الأمر بالأخذ بالأسباب، والتمرن على حسن الخلق، والحلم والصبر، وتوطين النفس على ما يصيب الإنسان من الخلق، من الأذى القولي والفعلي. فإذا وُفق لها العبد، وورد عليه وارد الغضب، احتمله بحسن خلقه، وتلقاه بحلمه وصبره، ومعرفته بحسن عواقبه، فإن الأمر بالشيء أمر به، وبما لا يتم إلا به، والنهي عن الشيء أمر بضده، وأمر بفعل الأسباب التي تعين العبد على اجتناب المنهي عنه، وهذا منه. الثاني: الأمر- بعد الغضب- أن لا ينفذ غضبه؛ فإن الغضب غالباً لا يتمكن الإنسان من دفعه ورده، ولكنه يتمكن من عدم تنفيذه؛ فعليه إذا غضب أن يمنع نفسه من الأقوال والأفعال المحرمة التي يقتضيها الغضب. فمتى منع نفسه من فعل آثار الغضب الضارة، فكأنه في الحقيقة لم يغضب. وبهذا يكون العبد كامل القوة العقلية والقلبية». (بهجة الأبرار- بتصرف ١٣٦).

- كما يجب على الغاضب تذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام، ومما يستوجب ذكره هنا دعاؤه صلى الله عليه وسلم الذي من المندوب للغضبان أن يكثر منه: «اللهم إني سألك كلمة الحق في الغضب والرضا» (أخرجه النسائي: ١٣٠٥).

- يعلم أن القوة في كظم الغضب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الشديد بالصُرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (أخرجه البخاري: ٥٧٦٣). قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «أي مالك نفسه أولى أن يسمى شديداً من الذي يصرع الرجال». (حاشية ابن القيم على مختصر سنن أبي داود ٢٧١/١٣).

وقال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح، فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد». (الاستقامة ٢٧١/٢).

وقال الزرقاني- رحمه الله تعالى-: «لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ، وقد ثارت عليه شدة من الغضب، فقهرها بحلمه، وصرعها بثباته، وعدم عمله بمقتضى الغضب كان كالصُرَعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه». (شرح الزرقاني ٣٢٧/٤)

إن قراءة مثل هذه الكتب وقت السواء النفسي، وتناولها في المحاضرات الخاصة بالتنمية البشرية، والإرشادات التربوية والأسرية، تساعد العقل على تذكر ما يؤول إليه الغضب وقت الغضب، واستحضار مثل هذه الكلمات والمواقف وتحريكها من الذاكرة الثابتة الخاصة بالتخزين للذاكرة الوقتية الظاهرة.

- عليه أن يأخذ الدروس من الغضب السابق

فلو استحضر كل واحد منا قبل أن يستنهض غضبه الحاضر ثمرةَ غضبٍ سابق ندم عليه هو أو غيره، وحياتنا بها الكثير من المواقف فهذا (طلق هذه، وضرب هذا، وقتل هذا، وسب هذا) بعد إنفاذه لما أقدم على ما تمليه عليه نفسه الإمارة بالسوء مرة ثانية، فمنع الغضب أسهل من إصلاح ما يفسده.

قال ابن حبان - رحمه الله تعالى -: «سرعة الغضب من شيم الحمقى، كما أن مجانبته من زي العقلاء، والغضب بذر الندم، فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح ما أفسد به بعد الغضب». (روضة العقلاء/١٣٨).

- معرفة أن المعاصي كلها تتولد من الغضب

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولما كانت المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة، وكانت نهاية قوة الغضب القتل، ونهاية قوة الشهوة الزنى جمع الله - تعالى- بين القتل

والزنى، وجعلهما قرينين في سورة الأنعام، وسورة الإسراء، وسورة الفرقان، وسورة الممتحنة، والمقصود أنه سبحانه أرشد عباده إلى ما يدفعون به شر قوتي الغضب والشهوة من الصلاة والاستعاذة». (زاد المعاد ٢/٤٦٣).

قال ابن حبان- رحمه الله تعالى-: «لو لم يكن في الغضب خصلة تذم إلا إجماع الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأي له، لكان الواجب عليه الاحتيال لمفارقته بكل سبب» (روضة العقلاء/١٤٠). لذا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان». (أخرجه النسائي: ٥٤٠٦).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الفقهاء اختلفوا في صحة حكم الحاكم في الغضب على ثلاثة أقوال: وهي ثلاثة أوجه في مذهب أحمد: أحدها: لا يصح ولا ينفذ؛ لأن النهي يقتضي الفساد. والثاني: ينفذ. والثالث: إن عرض له الغضب بعد فهم الحكم نفذ حكمه، وإن عرض له قبل ذلك لم ينفذ» ا.هـ (إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان/٦٥).

وقال معللاً المنع: «إنما كان ذلك لأن الغضب يشوش عليه قلبه وذهنه، ويمنعه من كمال الفهم، ويحول بينه وبين استيفاء النظر، ويُعمّي عليه طريق العلم والقصد» ا.هـ (إعلام الموقعين ١/٢١٧).

لهذا كان من وصية أمير المؤمنين عمر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما في القضاء: «وإياك والغضب، والقلق، والضجر». (أخرجه الدارقطني ٤/٢٠٦).

البرمجة العصبية لإدارة الغضب والانفعال:

يلزمنا هنا ترويض العقل والجسم وبرمجتهما لحسن إدارة الغضب:

وقد تم بالفعل التوصل إلى عدة استراتيجيات تساعد على إدارة الغضب وترويضه، والتغلب على ما يتبعه من شعور سلبي وتغيرات فسيولوجية، وذلك بعد نجاح هذه الخطوات على عينة من الغاضبين ومن أهمها:-

- الاسترخاء:

هناك طرق عديدة لتعلم كيفية الاسترخاء بدنيا وذهنيا وإليك بعضاً منها:-

التنفس العميق.. قد تبدو هذه الخطوة "تافهة" في أعين البعض، لكنها على النقيض من ذلك، فهي تساعد بصورة مذهلة في تخفيف حدة التوتر التي يعاني منها الإنسان أثناء غضبه، ويُنصح الشخص الذي يشعر بالقلق أو الغضب بالجلوس في مكان منفرد، والتركيز على التنفس بعمق لمدة دقيقتين (ما يوازي ٢٠ نفساً) مع صرف جميع الأفكار الأخرى، وسيصاب بالدهشة من النتيجة.

- الاستلقاء على الظهر، وإرخاء جميع عضلات الجسم. مع الاستماع للقرآن الكريم.

- البخور الهادئ والروائح العطرة المفضلة، سواء كانت (زهوراً - نباتات - شموعاً).

- ممارسة تمرينات التنفس، فيمكنك أخذ نفس عميق جداً من الداخل بحيث يملأ الهواء رئتيك وصدرك كله، ثم إخراج النفس من فمك ببطء.

- الاستحمام بالماء الدافئ، وبعض الأملاح المعطرة، والاستلقاء لمدة ربع ساعة على الأقل.

- النوم الكافي ليلاً بعدد الساعات التي يحتاجها جسمك ٨ ساعات منفصلة، أو ٦ ساعات متصلة.

- العمل على أخذ راحة خلال فترات العمل المتواصلة ولو خمس دقائق لتقليل الضغط العصبي. بتغيير مكانك، أو مجلسك، أو غرفتك، أو موضع بصرك...

- الاستماع إلى القرآن الكريم بصوت قارئك المفضل، وأنت مغمض العينين.

- ذكر الله كثيراً، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قصة التنبؤ بموت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

الحلقة (٢١٤)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كُتب السنة الأصلية، وكذلك كُتب التاريخ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- في هذه القصة يجد القارئ الكريم أمرًا منكرًا منسوبًا إلى كعب الأحبار وهو تنبؤه بيوم موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإن تعجب فعجب أن كعب الأحبار كما سنبين في المتن جاء إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وقال له: «يا أمير المؤمنين، اعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام، فلما كان من الغد جاء كعب فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب يوم وبقي يومان، ثم جاءه من غد الغد، فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة، وهي تلك إلى صبيحتها وعمر لا يحسّ وجعًا ولا ألمًا». اهـ.

٢- الخبر الذي جاءت به هذه القصة فيه نكارة شديدة، وهي أن كعب الأحبار يعلم ما في الغد، بل يعلم صبيحة اليوم الذي قُتل فيه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، يتبين ذلك مما جاء في الخبر: «ثم جاءه من غد الغد، فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي تلك إلى صبيحتها».

وهو أمر ينكره الشرع ويقوم له الشعر من الفزع ، وقد اتخذ البعض من هذه القصة ذريعة للقدح في كعب الأحبار ،وبَنَوْا على ذلك أنه يعلم كعب الأحبار بقتل عمر رضي الله عنه قبل حدوثه أنه متواطئ في ذلك، ولقد برأ العلماء كعبًا من هذا كله، فلا هو يعلم الغيب، ولا هو تواطأ في قتل عمر رضي الله عنه، بل هو من ثقات التابعين.

ولقد بيَّن الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٣٥/٢) مرتبة كعب الأحبار وطبقته، فقال: «كعب بن مانع الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ثقة، من الثانية مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، ومات في خلافة عثمان وقد زاد على المائة». اهـ.

قلتُ: هذا الحكم على كعب الأحبار مبني على منهج بيَّنه الحافظ ابن حجر في «مقدمة التقريب»، قال: «إني أحكم على كل شخص منهم بحكم يشمل أصح ما قيل فيه، وأعدل ما وصف به بألخص عبارة، وأخلص إشارة؛ بحيث لا تزيد كل ترجمته على سطر واحد غالبًا، يجمع اسم الرجل واسم أبيه وجدِّه ومنتهى أشهر نسبته ونسبه وكنيته، ولقبه مع ضبط ما يُشكل من ذلك بالحروف، ثم صفته التي يختص بها من جرح أو تعديل، ثم التعريف بعصر كل راوٍ منهم». اهـ.

قلت: لقد حكم الحافظ ابن حجر على كعب الأحبار بأنه «ثقة»- أي: عدل ضابط- وهذا الحكم يشمل أصح ما قيل فيه وأعدل ما وُصِفَ به بألخص عبارة، وأخلص إشارة، كما

بينا آنفًا، فهذا الحكم لم يكن مجرد رأي للحافظ ابن حجر، ولكنه حكم يشمل أصح ما قاله أئمة الجرح والتعديل في كعب الأحبار وأعدل ما وُصف به، والحافظ ابن حجر من أئمة هذا الفن.

من أجل هذا وبعون الله وحده سنقوم بتخريج هذه القصة وتحقيقها واثبات عدم صحتها.

ثانيا: المتن:

رُوِيَ أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اعْهَدْ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ فِي ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، قَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ: أَجِدُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ التَّوْرَاةِ. قَالَ عُمَرُ: آللَّهِ! إِنَّكَ لَتَجِدُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي التَّوْرَاةِ! قَالَ: اللَّهُمَّ لا، وَلَكِنِّي أَجِدُ صِفَتَكَ وَحِلْيَتَكَ، وَأَنَّهُ قَدْ فَنَى أَجَلُكَ، قَالَ: وَعُمَرُ لا يُحِسُّ وَجَعًا وَلا أَلَمًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَهُ كَعْبٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَهَبَ يَوْمٌ وَبَقِيَ يَوْمَانِ. قَالَ: ثُمَّ جَاءَهُ مِنْ غَدِ الْغَدِ. فَقَالَ: ذَهَبَ يَوْمَانِ وَبَقِيَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَهِيَ لَكَ إِلَى صَبِيحَتِهَا. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ، خَرَجَ عُمَرُ إِلَى الصَّلاةِ، وَكَانَ يُوَكِّلُ بِالصُّفُوفِ رِجَالا، فَإِذَا اسْتَوَتْ جَاءَ هُوَ فَكَبَّرَ. قَالَ: وَدَخَلَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ فِي النَّاسِ فِي يَدِهِ خِنْجَرٌ لَهُ رَأْسَانِ، نِصَابُهُ فِي وَسَطِهِ، فَضَرَبَ عُمَرَ سِتَّ ضَرَبَاتٍ، إِحْدَاهُنَّ تَحْتَ سُرَّتِهِ وَهِيَ الَّتِي قَتَلَتْهُ، وَقَتَلَ مَعَهُ كُلَيْبَ بْنَ أَبِي الْبُكَيْرِ اللَّيْثِيَّ، وَكَانَ خَلْفَهُ، فَلَمَّا وَجَدَ عُمَرُ حَرَّ السِّلاحِ سَقَطَ، وَقَالَ: أَفِي النَّاسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ ذَا. قَالَ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ بِالنَّاسِ. قَالَ: فَصَلَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعُمَرُ طَرِيحٌ، ثُمَّ احْتُمِلَ فَأُدْخِلَ دَارَهُ، فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْهَدَ إِلَيْكَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَعَمْ إِنْ أَشَرْتَ عَلَيَّ قَبِلْتُ مِنْكَ. قَالَ: وَمَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَتُشِيرُ عَلَيَّ بِذَلِكَ. قَالَ: اللَّهُمَّ لا قَالَ: وَاللَّهِ لا أَدْخُلُ فِيهِ أَبَدًا. قَالَ: فَهَبْ لِي صَمْتًا، حَتَّى أَعْهَدَ إِلَى النَّفَرِ الَّذِي تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، ادْعُ لِي عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدًا. قَالَ: وَانْتَظِرُوا أَخَاكُمْ طَلْحَةَ ثَلاثًا، فَإِنْ جَاءَ وَإِلا فَاقْضُوا أَمْرَكُمْ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا عَلِيُّ إِنْ وَلِيتَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا، أَنْ تَحْمِلَ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ إِنْ وَلِيتَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا أَنْ تَحْمِلَ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا سَعْدُ إِنْ وَلِيتَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا أَنْ تَحْمِلَ أَقَارِبَكَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، قُومُوا فَتَشَاوَرُوا ثُمَّ اقْضُوا أَمْرَكُمْ، وَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ صُهَيْبٌ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ، فَقَالَ: قُمْ عَلَى بَابِهِمْ فَلا تَدَعْ أَحَدًا يَدْخُلُ إِلَيْهِمْ، وَأُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ، أَنْ يُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْعَرَبِ، فَإِنَّهَا مَادَّةُ الإِسْلامِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ صَدَقَاتِهِمْ حَقُّهَا، فَتُوضَعَ فِي فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِذِمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُوفِيَ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، تَرَكْتُ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي عَلَى أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، اخْرُجْ فَانْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَكَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ غُلامُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مَنِيَّتِي بِيَدِ رَجُلٍ سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً وَاحِدَةً، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ اذْهَبْ إِلَى عَائِشَةَ، فَسَلْهَا أَنْ تَأْذَنَ لِي أَنْ أُدْفَنَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ إِنِ اخْتَلَفَ الْقَوْمُ فَكُنْ مَعَ الأَكْثَرِ، وَإِنْ كَانُوا ثَلاثَةً وَثَلاثَةً فَاتَّبِعِ الْحِزْبَ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ ائْذَنْ لِلنَّاسِ. قَالَ: فَجَعَلَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ. وَيَقُولُ لَهُمْ: أَعَنْ مَلإٍ مِنْكُمْ كَانَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: مَعَاذَ اللَّهِ. قَالَ: وَدَخَلَ فِي النَّاسِ كَعْبٌ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ، أَنْشَأَ يَقُولُ:

فَأَوْعَدَنِي كَعْبٌ ثَلاثًا أَعُدُّهَا ... وَلا شَكَّ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَ لِي كَعْبُ

وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتُ ... وَلَكِنْ حِذَارُ الذَّنْبِ يَتْبَعُهُ الذَّنْبُ».

ثالثا: التخريج:

١- هذا الخبر الذي جاءت به القصة أخرجه الحافظ ابن أبي الدنيا المتوفى سنة ٢٨١هـ في كتابه «المحتضرين» (ح٤١) قال: حدثني

مسلم بن جنادة قال: حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت قال: حدثنا أبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن المسور بن مخرمة قال: قال كعب لعمر: يا أمير المؤمنين، اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام....» الحديث.

٢- وأخرجه الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ في كتابه «تاريخ الأمم» (٦٤٧/٢) قال: حدثني مسلم بن جنادة قال: حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: حدثنا أبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن المسور بن مخرمة به.

٣- وأخرجه الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري المتوفى سنة ٣٦٠هـ في كتابه «الشريعة» (١٢٦/٣) (ح١٤٥٦/٥٤٤) قال: حدثنا أبو حفص عمر بن سهل بن مخلد البزار من كتابه، قال: حدثنا أبو السائب مسلم بن جنادة بن سلم بن خالد بن جابر بن سمرة، قال: حدثني سليمان بن عبد العزيز أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: حدثني أبي عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن المسور بن مخرمة به.

٤- وأخرجه الحافظ ابن عساكر المتوفى ٥٧١هـ في «تاريخ دمشق» (٤٠٨/٤٤) قال: أخبرنا أبو القاسم بن السمرقدي، أخبرنا أبو بكر محمد بن هبة الله، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو علي بن صفوان، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا به.

رابعًا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية؛ قصة التنبؤ بموت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لا تصح، وعلة هذا الخبر عبد العزيز بن أبي ثابت.

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل» (١٨١٧/٣٩٠/٥) قال: عبد العزيز بن عمران، وهو ابن أبي ثابت الزهري المديني، وعمران هو ابن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، سمعت أبي يقول ذلك.

أ- ثم أخرج الإمام ابن أبي حاتم عن عثمان بن سعيد قال: قلت ليحيى بن معين: ابن أبي ثابت عبد العزيز بن عمران من ولد عبد الرحمن بن عوف ما حاله؟ قال: «ليس بثقة، إنما كان صاحب شعر». اهـ.

ب- ثم قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عبد العزيز بن عمران؟ فقال: «متروك الحديث، ضعيف الحديث، منكر الحديث جدًا». اهـ.

جـ- وقال ابن أبي حاتم كان في كتابنا عن أبي زرعة أحاديث لمحمد بن إسماعيل الجعفري عن عبد العزيز بن عمران، فامتنع أبو زرعة عن قراءته وترك الرواية عنه». اهـ.

د- وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب لي قال: سألت أبي عن عبد العزيز بن عمران فقال: ما كتبت عنه شيئًا. اهـ.

٢- وقال الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث وطبيب الحديث في علله في كتابه «الضعفاء الصغير» (٢٢٣): «عبد العزيز بن عمران أبو ثابت المدني، منكر الحديث لا يكتب حديثه». اهـ.

٣- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٩٣): «عبد العزيز بن عمران متروك الحديث». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه، فقد بيَّن ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) قال: «كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٤- ذكره الإمام الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٣٤٩) فقال: «عبد العزيز بن عمران أبو ثابت الزهري، مدني». اهـ.

قلت: قد يتوهم من لا دراية له بمنهج الدارقطني في هذا الكتاب أنه لم يذكر في عبد العزيز بن عمران جرحًا ولا تعديلاً، ولكن من عنده دراية بهذا المنهج يعلم أن هناك ثلاثة من الأئمة اجتمعوا على تركه كما بين ذلك

الإمام البرقاني في مقدمته فقال: «طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

٥- ولقد نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٥١١٩/٦٣٢/٢) هذه الأقوال التي ذكرناها آنفة لأئمة الجرح والتعديل وأقرها.

٦- في سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي (٢٠٠-٢٨٠هـ) للإمام أبي زكريا يحيى بن معين (١٥٨-٢٢٣هـ) (٦٠٧) المسمى بتاريخ الدارمي عن يحيى قال: «قلت ليحيى: فابن أبي ثابت عبد العزيز بن عمران، من ولد عبد الرحمن بن عوف ما حاله؟ فقال: ليس بثقة وإنما كان صاحب شعر». اهـ.

٧- قال الإمام الحافظ ابن حبان في كتابه «المجروحين» (١٣٩/٢): «عبد العزيز بن عمران ممن يروي المناكير عن المشاهير، وكان الغالب عليه الشعر والأدب». ثم قال: سمعت محمد بن محمود يقول: سمعت الدارمي يقول: فابن أبي ثابت ما حاله؟ قال: «ليس بثقة إنما كان صاحب شعر». اهـ.

٨- ذكر الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٦٧٤/٣١٢/٦): «قال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين كان ابن أبي ثابت صاحب نسب ولم يكن من أصحاب الحديث».

وقال الحسين بن حبان عن يحيى بن معين قد رأيته ببغداد كان يشتم الناس ويطعن في أحسابهم؛ ليس حديثه بشيء. اهـ.

خامسًا: الاستنتاج:

قلت: بالاستقراء التام لأقوال أئمة الجرح والتعديل والتي أوردناها آنفًا في عبد العزيز بن عمران وهو ابن أبي ثابت الزهري المدني متروك اجتمع الجميع على تركه، منكر الحديث لا يكتب حديثه ولا تحل الرواية عنه، ليس بثقة إنما كان صاحب شعر ولم يكن من أصحاب الحديث وكان الغالب عليه الشعر.

قلت: ولقد ظهر هذا الشعر في متن هذه القصة الواهية المنكرة والتي أخرجها الحافظ ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (ح٤١)، والإمام ابن جرير الطبري في «تاريخ الأمم» (٦٤٧/٢)، والإمام الآجري في «الشريعة» (١٢٦/٣) (ح١٤٥٦)، وفيها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعنه أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي حُمل فأدخل داره فجعل يدخل عليه المهاجرين والأنصار فيسلمون عليه، وَدَخَلَ فِي النَّاسِ كَعْبٌ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ، أَنْشَأَ يَقُولُ:

فَأَوْعَدَنِي كَعْبٌ ثَلَاثًا أَعُدُّهَا
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَ لِي كَعْبُ
وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتُ
وَلَكِنْ حِذَارُ الذَّنْبِ يَتْبَعُهُ الذَّنْبُ».

قلت: هذا قول متروك الذي ليس بثقة، ولقد تبين أنه منكر الحديث جدًا لا تحل الرواية عنه، فهو لم يكن من أصحاب الحديث ولكنه صاحب شعر.

سادسًا: طريق آخر للقصة:

أخرجه ابن أبي شبة المتوفى (٢٦٢) في كتابه «تاريخ المدينة» (٨٩١/٣) قال: حدثنا محمد بن يحيى بن علي المدني قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران قال: حدثني عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أن كعب الأحبار قال لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، اعهد فإنك ميت. القصة.

وعلة هذا الطريق أيضًا هو عبد العزيز بن عمران وهو ابن أبي ثابت الزهري المدني، وهذا ما بينه الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٦٢٨٠/٣٣٣/١٧) قال: «محمد بن يحيى بن علي أبو غسان المدني الكناني روى عنه عمر بن شبة النميري، وروى عن عبد العزيز بن عمران الزهري، وفي «تهذيب الكمال» (٤٠٤٧/١٥٩/١١) أن عبد العزيز بن عمران روى عن عبد الله بن زيد بن أسلم ويصبح هذا الطريق تالفًا، وعلته عبد العزيز بن أبي ثابت والذي بينا حاله آنفًا من الجرح الشديد وأنه صاحب شعر».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.



قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

جماهير أئمة أهل السنة في القرن السابع الهجري وما تلاه، على إثبات استوائه تعالى على عرشه، وفق نهج النبي وصحابته وتابعيهم.. خلافا للأشاعرة الذين أبوا إلا اتباع الجهم والمعتزلة والخوارج في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء

إعداد: د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد سبق أن ذكرنا لإثبات الاستواء ما تيسر من نصوص أئمة أهل السنة بالقرن السادس الهجري، ونذكر هنا بأن كل من جاء بعدهم من أهل الحق ساروا على هدي نبيهم وهدي صحابته وتابعيهم وتابعي تابعيهم، وسيظل الأمر كذلك وإن خولف صلى الله عليه وسلم أو قل متبعوه، لتظل طريقة النبي والقرون الفاضلة هي الصائبة الماضية إلى يوم التلاق، وليتحقق بعدُ ما أخبر به في قوله: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله؛ فاحذروهم»، وتلك من علامات نبوّته.

فما (أوصاف السلوب والخوض في كيفيات الصفات) من الفرَق التي تلت عصر النبوة: إلا تتبعٌ للمتشابه، وما مقولة السلف: (أمرُّوها بلا كيف) إلا نهيٌ عن مذاهبهم تلك، فإن الأئمة كانوا إذا سُئلوا عن شيء من ذلك لم ينفوا معناه، بل يثبتون المعنى، وينفون الكيفية، كقول مالك وربيعة شيخه لما سُئلا عن الاستواء: (الاستواء معلوم والكيف مجهول)، وهو "قول أهل السنة قاطبة" كما ذكر الذهبي، ومن قبل ذا قول أم سلمة، وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس من أهل السنة من ينكره.. وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه.

وفي بيان ذلك جاء في مختصر الصواعق ص١٢٥: "الصحابة والتابعون فسروا القرآن وعلموا المراد بآيات الصفات كما علموا المراد من آيات الأمر والنهي، وإن لم يعلموا الكيفية.. فمن قال من السلف: (إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله بهذا المعنى)، فهو حق.. وأما من قال: (إن التأويل الذي هو: تفسيره وبيان المراد منه لا يعلمه إلا الله) فهو غلط، والصحابة والتابعون وجمهور الأمة على خلافه"، وهو في معنى ما سبق أن ذكرناه للعلامة منصور بن عمار في الحلقة (٣٩).. ونلاحظ في كلامهما الرد القاطع على المفوضة، وكذا من أخرجوا الصفات عن ظواهرها من المؤولة، وعلى من اتهم السلف أنهم كانوا كذلك.. ونذكر من نصوص من وعُوا ذلك من أئمة القرن السابع:

أ- طرفا من نصوص أئمة القرن السابع في إثبات الاستواء وسوقهم الإجماع عليه

١- كلام ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠)، فقد تناول في كتابه: (لمعة الاعتقاد) صفة (الاستواء)، وراح يذكر بعضاً من أدلتها إلى أن قال: "فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف على نقله وقبوله، ولم يُتَعَرَّض لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله".

وتناول في كتابه: (صفة العلو لله الواحد



القهار) أدلة القرآن على علوه تعالى وفوقيته واستوائه، وقال في تفسير: (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً..) (غافر: ٣٦، ٣٧): "أي: أظن موسى كاذباً في أن الله في السماء"، واستطرد يقول: "والمخالف في هذه المسألة يزعم أن موسى كاذبٌ في هذا بطريق القطع واليقين، مع مخالفته لرب العالمين، وتخطئته لنبيه الصادق الأمين، وتركه منهج الصحابة والتابعين، والأئمة السابقين وسائر الخلق أجمعين"..

وشرع يكثر من ذكر الأدلة والآثار إلى أن ختم كتابه بقوله: "فقد وضح الحق في هذه المسألة، بالحجج القاطعة من الآيات الباهرة والأخبار المتواترة وإجماع الصحابة، كما ذكروه في أشعارهم ومنثور كلامهم من قول أئمتهم وعامتهم وروايتهم للسنة في ذلك، قائلين لها، مؤمنين بها، مصدقين بما فيها، لم ينكر ذلك منهم منكر ولا اعترض منهم معترض، ثم مَن بعدهم عصراً بعد عصر حتى قال أبو زرعة وأبو حاتم: (هذا ما أدركنا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ومصراً، ولم يخالف في ذلك غير مبتدع غالٍ أو مفتون ضالٍ)، وأول من خالف في ذلك: الجهم بن صفوان، فعاب ذلك عليه وعلى أصحابه: الأئمة من العلماء والسادةُ من الفقهاء، واستعظموا قولهم وبدعتهم".

قال: "ثم إن الجهمية مضطرون إلى موافقة أهل الإسلام على رفع أيديهم في الدعاء وانتظار الفرج من السماء وقول: (سبحان ربي الأعلى)، وتلاوة ما دل على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، ثم لا يزالون يسمعون من السنة ما يقرع رؤوسهم ويُحزن قلوبهم، ومن عامة المسلمين في أسواقهم ومحاورتهم من ذلك ما يغيظهم، لا يستطيعون له رداً ولا يجدون من سماعه بداً، وليس لهم من بدعتهم هذه حجة من كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا إمام مرضي، إلا اتباع الهوى ومخالفة سنة المصطفى وأئمة الهدى، ومن وفقه الله لاتباع صراطه المستقيم والاقتداء بنبيه الصادق الأمين واتباع صحابته الغر الميامين، ورضي لنفسه ما رضي به أئمة المسلمين وعامة المؤمنين، أراح نفسه في الدنيا من مخالفة المسلمين وأمن في الآخرة من العذاب الأليم، وآتاه الله الأجر العظيم، وأنعم عليه بمرافقة النبيين وأصحاب اليمين".

كما تناول في كتابه: (ذم التأويل) مذهب السلف، وذكر للاستواء كلامَ جَمْع من أئمتهم، ثم أورد عبارة أم سلمة وقول ربيعة ومقولة مالك، وعقب يقول: "وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى واللفظ، فمن المحتمل أن يكون ربيعة ومالك بلغهما قول أم سلمة فاقتديا بها وقالا مثل قولها، لصحته وحسنه وكونه قول إحدى زوجات النبي.. ومن المحتمل أن يكون تعالى وفّقهما للصواب وألهمهما من القول السديد مثل ما ألهمها.

وقولهم: (الاستواء غير مجهول)، أي: غير مجهول الوجود، لأن الله أخبر به وخبره صدقٌ يقينٌ لا يجوز الارتياب فيه.. وقولهم: (الكيف غير معقول)، لأنه لم يرد به توقيف.. و(الجحود به كفر)، لأنه ردٌّ لخبر الله، وكفرٌ بكلام الله، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر، فكيف بمن كفر بسبع آيات، وردَّ خبر الله في سبعة مواضع من كتابه"، وبالطبع فإن هذا -كما يقول الشافعي-: بعد قيام الحجة على جاحده، "أما قبل ثبوت الحجة عليه، فمعذور بالجهل، لأن علْم ذلك لا يُدرك بالعقل ولا بالروية والفكر، ولا يكفر بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وتَثبُت هذه الصفات ويُنفى عنها التشبيه كما نفى الله التشبيه عن نفسه فقال: (ليس كمثله شيء..) (الشورى/ ١١)"، كذا هو نص عبارته.

٢- كلام القرطبي (ت٦٧١)، قال في تفسيره ٣/ ٢٧٣٧: "كان السلفُ الأول لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله كما نطق كتابه وأخبرت

رسله، ولم يُنكر أحد من السلف أنه استوى على عرشه حقيقة، وانما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تُعلم حقيقته كما قال مالك: (الاستواء معلوم)، يعني: في اللغة، (والكيف مجهول)"، وقد نقله عنه الذهبي في العلو وردَّ به على ما سبق أن ذكره من مقولة "المتكلمين الذين يقولون: (إذا وجب تنزيه الباري عن الحيز، فمن ضرورة ذلك تنزيهه عن الجهة)، فليس - تعالى- بجهة (فوق) عندهم، لما يلزم عن الحيز والمكان من الحركة والسكون والتغير والحدوث"، مشيراً إلى أن ذلك، إنما هو: من لوازم المخلوق، وأما بالنسبة للخالق فالأمر على خلافه.

٣- ويأتي ضمن من أدركوا خطأ تأويل الاستواء: ابن رشد المعروف بالحفيد (ت٦٠٥)، وقد بدا هذا واضحاً في كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة)، حيث أثبت فيه صفة (الجهة) التي تقتضي وصْفه تعالى بالعلو والفوقية والاستواء على العرش والنزول، فقال ص٩٣: "وأما هذه الصفة، فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية..) (الحاقة/ ١٧)، (تعرج الملائكة والروح إليه..) (المعارج/ ٤)، (أأمنتم من في السماء..) (الملك/ ١٦)، إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهاً، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب".. إلى أن قال في حكاية الإجماع على إثباتها: "وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك".

ويتوسع ابن رشد في بيان "الشبهة التي قادت نفاة (الجهة) إلى نفيها"، فيحصرها في "أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، واثبات المكان يوجب إثبات الجسمية"، وفي رد ذلك يقول: "إن هذا كلَّه غيرُ لازم، فإن الجهة غير المكان"، وجعل يسترسل في ذلك ويبدي وجهَ الخطأ لمن نفي (الجهة) وأوَّل على إثره ظواهر الشرع، وانتهى إلى أن "أكثر التأويلات التي زعم القائلون بها: أنها المقصود من الشرع، إذا تؤمِّلت، وُجدتْ ليس يقوم عليها برهان".. يقول ابن القيم في اجتماع الجيوش ص١٣٢ معلقاً: "فهذا كلام فيلسوف الإسلام الذي هو أخبر بمقالات الفلاسفة والحكماء، وأكثر اطلاعاً عليها من ابن سينا، الذي كان يخالفه نقلاً وبحثاً".

ب- طرفاً من نصوص أعلام ما بعد القرن السابع في إثبات الاستواء والإجماع عليه

٤- هذا، ومن غير ما مرّ بالحلقات (٩،٣٧،٣٩،٤١) من عبارات الذهبي ت٧٤٨ -التي يُعرب فيها عن أسفه لحال الأشاعرة في انشغالهم بذكر السلوب دون إثبات الاستواء- قوله: "ثم أنتم تقولون: (لا هو داخل العالم ولا خارج العالم، ولا فوق العرش ولا تحت العرش، ولا في السماء ولا ليس في السماء)، فإن كان هذا يُعقل لكم، فوالله نحن لا نعقله -يعني: لكونها أوصافاً للمعدوم- فهلموا بنا إلى الاتفاق على التنزيه العام والتوحيد التام، والإيمان بما جاء عن الله ورسوله على ما أراد"..

وقوله تعليقاً على مقولة مالك: "هو قول أهل السنة قاطبة، أن كيفية الاستواء لا نعقلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به".. وقوله تعليقاً على ما نقله عن القرطبي -من أن إثبات الجهة لله لا يلزم أن يكون في حيز أو يحصره مكان-: "(إنما يلزم ما ذكروه: في حق الأجسام، والله لا مثل له).

ثم نقول: (لا نسلم أن كون الباري على عرشه فوق السماوات يلزم منه أنه في حيز وجهة، إذ ما دون العرش يقال فيه حيز وجهات، وأما ما فوقه فليس هو كذلك، والله فوق عرشه كما أجمع عليه الصدر الأول ونقله عنهم الأئمة، وقالوا ذلك رادِّين على الجهمية القائلين بأنه في كل مكان.. أما القول المتولد أخيراً -ويعني

به: قول متأخري الأشاعرة من المبتدعة المكثرين من ذكر السلوب على طريقة المعتزلة- من أنه تعالى ليس في الأمكنة، ولا خارجاً عنها، ولا فوق عرشه، ولا هو متصل بالخلق ولا بمنفصل عنهم، ولا ذاته المقدسة متحيزة ولا بائنة عن مخلوقاته، ولا في الجهات ولا خارجاً عن الجهات، ولا، ولا، فهذا شيء لا يعقل ولا يفهم، مع ما فيه من مخالفة الآيات والأخبار، ففر بدينك وإياك وآراء المتكلمين، وآمن بالله وما جاء عن الله على مراد الله)"، كذا في العلو ص١٩٦، ١٠٤، ١٩٤.

٥- ومن كلام الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤)، قوله في تفسيره (٢/ ٢٢٦): "وأما قوله (ثم استوى على العرش..) (الأعراف/ ٥٤)، فللناس فيها مقالات كثيرة ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث والشافعي وأحمد وابن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو: إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبِّهين منفي عن الله، فإنه لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء، بل الأمر كما قال الأئمة، منهم: نعيم بن حماد، قال: (من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلاله، ونفى عنه النقائص فقد سلك سبيل الهدى)".

٦- وللشوكاني (ت١٢٥٥) في رسالته: (التحف) ص٢٣، ما نصه: "من جملة الصفات التي أمرَّها السلف على ظاهرها وأجرَوها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل: صفة الاستواء، يقول السلف: نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها إلا هو وكيفية لا يَدري بها سواه، ولا نكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته..

والأدلة في ذلك كثيرة وقد جمع أهل العلم منها مباحث طولوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة، وقد وقفت من ذلك على مؤلف جمعه الحافظ الذهبي -يقصد: كتابه (العلو للعلي الغفار)- والمسألة أوضح من أن تلتبس على عارف وأبين من أن يُحتاج فيها إلى التطويل.. والسلامة والنجاة في إمرار ذلك على الظاهر، والإذعان بما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف، فمن جاوز هذا المقدار فهو غير مقتد بالسلف، ولا واقف على طريق النجاة، ولا معتصم عن الخطأ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة"ا.هـ.

٧- وفي شرحه لما نظمه في قوله:

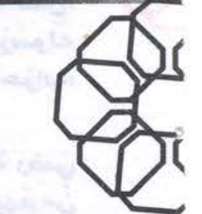
كذا له العلو والفوقية ... على عباده بلا كيفية

يقول الشيخ حافظ حكمي (ت١٣٨٨) في (معارج القبول بشرح سلم الوصول ١/ ٩٨): "(كذا) ثابت (له العلو والفوقية) بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة"، وجعل يتوسع في ذكر تلك الأدلة حتى بلغ بها قرابة الستين صفحة.

وقد سبق أن ذكرنا تراجع الجويني والغزالي والرازي وغيرهم من أئمة الخلف عن تأويل الاستواء، كما ذكرنا في كتابنا (سيراً على خطا الأشعري) قول العلامة ابن المِبْرَد (ت٩٠٩)، في كتابه (جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر) ص١٩٦: "فصل:.. ونحن نذكر جماعة ممن ورد عنهم مجانبة الأشاعرة على طريق الاختصار".. إلى أن قال ص٢٨١ بعد أن ذكر ما يزيد عن الأربعمائة عالم: "ووالله ثم والله ثم والله! لَمَا تركنا أكثر مما ذكرنا، ولو ذهبنا نستقصي ونتتبع كل من جانبهم من يومهم وإلى الآن، لزادوا على عشرة آلاف نفس"، فليراجع كلٌ منا إذاً نفسه، وليتبع الحق المبين فليس بعده إلا الضلال البعيد..

وإلى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.





الشائعات.. ومعاول هدم المجتمعات

الحلقة الثانية


إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلقد تكلمنا في الحلقة السالفة عن تربية المسلم على حفظ قلبه ولسانه عن الخوض في نشر الشائعات والكذب وما لا يعنيه من الأخبار، لا سيما ما كان منها سببًا في الإضرار بالغير على مستوى الفرد والمجتمع؛ مما يترتب عليه من آثار تفكك المجتمعات وزعزعة استقرارها، مما قد يؤدي إلى تحطيم أمة بأسرها من جراء تحطيم لبناتها، وكان ذلك أغلبه من المستفاد من قصة حديث الإفك كما عرضها القرآن، وأسلفنا أن القرآن عالج ذلك من خلال خطوتين رئيستين:

الأولى: هي خطوة العلاج الباطني:

وقد اشتملت على تحديد هؤلاء المغرضين الناشرين للشائعات وأهدافهم، ثم بتطمين المؤمنين وتسليتهم ممن أصابهم الأذى بسبب هذه الشائعات وأن ذلك رفعة لدرجاتهم، ثم تعليم المؤمنين وإرشادهم بما يجب عليهم تجاه الشائعات.

والخطوة الثانية: طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي:

وفي هذه يعلمنا القرآن الكريم، قال تعالى: «لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَآءِ فَأُولَٰٓئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَٰذِبُونَ» (النور١٣)، وَهَذِهِ الْفِرْيَةُ الضَّخْمَةُ الَّتِي تَتَنَاوَلُ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ، وَأَطْهَرَ الأَعْرَاضِ، مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَمُرَّ هَكَذَا سَهْلَةً هَيِّنَةً، وَأَنْ تَشِيعَ هَكَذَا دُونَ تَثَبُّتٍ وَلاَ بَيِّنَةٍ، وَأَنْ تَتَقَاذَفَهَا الأَلْسِنَةُ وَتَلُوكَهَا الأَفْوَاهُ دُونَ شَاهِدٍ وَلاَ دَلِيلٍ: «لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ»: وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَهُمْ إِذًا كَاذِبُونَ. كَاذِبُونَ عِنْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيْهِ، وَالَّذِي لاَ يَتَغَيَّرُ حُكْمُهُ، وَيَتَبَدَّلُ قَرَارُهُ، فَهِيَ الْوَصْمَةُ الثَّابِتَةُ الصَّادِقَةُ الدَّائِمَةُ الَّتِي لاَ بَرَاءَةَ لَهُمْ مِنْهَا، وَلاَ نَجَاةَ لَهُمْ مِنْ عُقْبَاهَا.

ثالثًا: وهي مرحلة تربوية أخرى قد تأتي في أعقاب العلاج بعدما اجتهد في صرف الشائعة يحاول بعد ذلك سد مثل هذه المنابع فأرشد إلى التربية على البعد عن ذلك ابتداء؛ وذلك من خلال وعظهم بتعريفهم علة التجرؤ على مثل هذه الأحاديث، وهو عدم معرفتهم بعاقبة مثل هذه الآثام والتعدي على حرمات الأنام، فَقَالَ تَعَالَى: «وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا» فَلِذَلِكَ أَقْدَمَ عَلَيْهِ مَنْ أَقْدَمَ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَابُوا مِنْهُ، وَتَطَهَّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ. «وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ» وَلَوْ كَانَ مَا قُلْتُمْ فِي غَيْرِ عَائِشَةَ لَمَا كَانَ هَيِّنًا، فَكَيْفَ وَقَدْ قُلْتُمْ مَا قُلْتُمْ فِي أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَزَوْجَةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، فَعَظِيمٌ عِنْدَ اللهِ أَنْ يُقَالَ فِي زَوْجَةِ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ مَا قِيلَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَغَارُ لِهَذَا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لاَ يُقَدِّرُ عَلَى زَوْجَةِ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ذَلِكَ، حَاشَا وَكَلاَّ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا فِي سَيِّدَةِ نِسَاءِ الأَنْبِيَاءِ وَزَوْجَةِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الإِطْلاَقِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. (ابن كثير: ٣/ ٢٧٤).



وفي هذا الزَّجْرُ الْبَلِيغُ عَنْ تَعَاطِي بَعْضِ الذُّنُوبِ عَلَى وَجْهِ التَّهَاوُنِ بِهَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يُفِيدُهُ حُسْبَانُهُ شَيْئًا، وَلَا يُخَفِّفُ مِنْ عُقُوبَتِهِ، بَلْ يُضَاعِفُ الذَّنْبَ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِ مُوَاقَعَتَهُ مَرَّةً أُخْرَى. (تيسير الكريم الرحمن: ٥/٣٩٨).

وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَذَّرَ أُمَّتَهُ مِنَ التَّهَاوُنِ بِالذُّنُوبِ فَقَالَ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ، كَرَجُلٍ كَانَ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا مِنْ ذَلِكَ سَوَادًا وَأَجَّجُوا نَارًا فَأَنْضَجُوا مَا فِيهَا" (صحيح ابن ماجه: ٢٦٨٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ" (صحيح البخاري: ٦٤٧٨).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ مِنْ سَيِّئَاتِكَ حَقِيرٌ، فَلَعَلَّهُ عِنْدَ اللَّهِ نَخْلَةٌ وَهُوَ عِنْدَكَ نَقِيرٌ. وَجَزِعَ بَعْضُهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: أَخَافُ ذَنْبًا لَمْ يَكُنْ مِنِّي عَلَى بَالٍ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. (الكشاف ٣/٦٦).

هذا وَقَوْلُهُ تَعَالَى: « وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ »، أَيْ هَلَّا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا. وَإِنَّمَا وَجَبَ عَلَيْهِمُ الِامْتِنَاعُ مِنْهُ لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُقْتَضِي لِكَوْنِهِمْ تَارِكِينَ لِهَذَا الْفِعْلِ قَائِمٌ، وَهُوَ الْعَقْلُ وَالدِّينُ، وَلَمْ يُوجَدْ مَا يُعَارِضُهُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ظَنُّ كَوْنِهِمْ تَارِكِينَ لِلْمَعْصِيَةِ أَقْوَى مِنْ ظَنِّ كَوْنِهِمْ فَاعِلِينَ لَهَا، فَلَوْ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ صُدُورِ الْمَعْصِيَةِ لَكَانَ قَدْ رَجَّحَ الْمَرْجُوحَ عَلَى الرَّاجِحِ وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ.

ثَانِيهَا: وَهُوَ أَنَّهُ مُتَضَمِّنٌ إِيذَاءَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم وَذَلِكَ سَبَبٌ لِلَّعْنِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (الأحزاب: ٥٧).

ثَالِثُهَا: أَنَّهُ سَبَبٌ لِإِيذَاءِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَإِيذَاءِ أَبَوَيْهَا وَمَنْ يَتَّصِلُ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ عُرِفَ إِقْدَامُهُمْ عَلَيْهِ، وَلَا جِنَايَةٍ عُرِفَ صُدُورُهَا عَنْهُمْ، وَذَلِكَ حَرَامٌ.

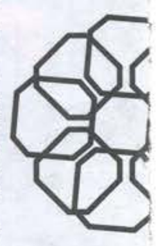
رَابِعُهَا: أَنَّهُ إِقْدَامٌ عَلَى مَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِلضَّرَرِ مَعَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ، وَالْعَقْلُ يَقْتَضِي التَّبَاعُدَ عَنْهُ، لِأَنَّ الْقَاذِفَ بِتَقْدِيرِ كَوْنِهِ صَادِقًا لَا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ عَلَى صِدْقِهِ، بَلْ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ لِأَنَّهُ أَشَاعَ الْفَاحِشَةَ، وَبِتَقْدِيرِ كَوْنِهِ كَاذِبًا فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ الْعَظِيمَ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مِمَّا يَقْتَضِي صَرِيحُ الْعَقْلِ الِاحْتِرَازَ عَنْهُ.

خَامِسُهَا: أَنَّهُ تَضْيِيعٌ لِلْوَقْتِ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ" (صحيح الترمذي: ٢٣١٧).

فَهَذِهِ الْوُجُوهُ تُوجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنَّهُ إِذَا سَمِعَ الْقَذْفَ أَنْ يَسْكُتَ عَنْهُ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي الِاحْتِرَازِ عَنِ الْوُقُوعِ فِيهِ. (التفسير الكبير: ٢٣/١٨١).

وَأَنْ يَقُولَ عِنْدَ سَمَاعِهِ: «سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»، وَالْمَقْصُودُ مِنَ التَّسْبِيحِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِعْظَامُ نِسْبَةِ السُّوءِ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَتَحْقِيقُ بَرَاءَتِهَا، وَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِهَا يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ: التَّنْزِيهُ وَالْبَرَاءَةُ لِلَّهِ مِنْ أَنْ يُجْرِيَ ذَلِكَ عَلَى مِثْلِ عَائِشَةَ، وَأَنْ يُوقِعَهُ فِي الْوُجُودِ. (المفهم: ٧/٣٧٧).

وَجُمْلَةُ «هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ» تَعْلِيلٌ لِجُمْلَةِ «مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا»، فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي تَوْبِيخِ الْمَقُولِ لَهُمْ. وَوَصْفُ الْبُهْتَانِ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ مَعْنَاهُ أَنَّهُ عَظِيمٌ فِي وُقُوعِهِ، أَيْ بَالِغٌ فِي كُنْهِ الْبُهْتَانِ مَبْلَغًا قَوِيًّا. وَإِنَّمَا كَانَ عَظِيمًا لِأَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى مُنْكَرَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَهِيَ الْكَذِبُ، وَكَوْنُ الْكَذِبِ يَطْعَنُ فِي سَلَامَةِ



الْعِرْض، وَكَوْنُهُ يُسَبِّبُ إِحَنًا عَظِيمَةً بَيْنَ الْمُفْتَرِينَ وَالْمُفْتَرَى عَلَيْهِمْ بِدُونِ عُذْرٍ، وَكَوْنُ الْمُفْتَرَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ مِنْ أَزْوَاجٍ وَآبَاءٍ وَقَرَابَاتٍ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ اجْتِرَاءٌ عَلَى مَقَامِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَقَامِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. (التحرير والتنوير: ١٨/١٨١).

وهكذا نَهَى الله تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْجَرْيِ وَرَاءَ الشَّائِعَاتِ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّثَبُّتِ مِنْ صِحَّةِ الأَخْبَارِ الَّتِي تُنْقَلُ إِلَيْهِمْ، فَلَيْسَ كُلُّ مَا يُنْقَلُ صَحِيحًا، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يُقَالُ صِدْقًا، وَإِنَّ أَعْدَاءَكُمْ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمُ الدَّوَائِرَ، وَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا يَقِظِينَ أَبَدًا، حَتَّى تَعْلَمُوا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُثِيرَ فِيكُمُ الْقَلَاقِلَ، وَيُذِيعَ فِيكُمُ الشَّائِعَاتِ الَّتِي لَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الصِّحَّةِ. فَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ حَدَثَتْ بِسَبَبِ خَبَرٍ كَاذِبٍ، نَقَلَهُ فَاسِقٌ فَاجِرٌ، وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ أُرِيقَتْ، وَأَرْوَاحٍ أُزْهِقَتْ، بِسَبَبِ أَخْبَارٍ كَاذِبَةٍ لَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الصِّحَّةِ، اخْتَلَقَهَا أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ، وَأَعْدَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ، لِيَقْضُوا بِتِلْكَ الأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ عَلَى وَحْدَةِ الأُمَّةِ، وَيُمَزِّقُوا شَمْلَهَا، وَيُثِيرُوا فِيهَا الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ. كَمْ فُرِّقَ بَيْنَ أَخَوَيْنِ بِأَخْبَارٍ كَاذِبَةٍ؟ كَمْ فُرِّقَ بَيْنَ زَوْجَيْنِ بِأَخْبَارٍ كَاذِبَةٍ؟ كَمْ تَحَارَبَتْ قَبَائِلُ وَأُمَمٌ لأَخْبَارٍ كَاذِبَةٍ؟.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ، اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، يَضَعُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ التَّشْرِيعِيَّةَ، لِصِيَانَةِ الْمُجْتَمَعِ مِنَ التَّمَزُّقِ، وَصِيَانَتِهِ مِنَ التَّفَرُّقِ، وَصِيَانَتِهِ مِنْ أَنْ تَشْتَعِلَ فِيهِ نَارُ الْفِتْنَةِ فَلَا تُطْفَأُ أَبَدًا.

وَمِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مُجْتَمَعٌ مِنْ مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْحَاقِدِينَ الْحَاسِدِينَ، الَّذِينَ لَا يَرُوقُ لَهُمْ أَنْ يَرَوُا الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ مُتَآلِفًا، مُتَآخِيًا، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَإِذَا اشْتَكَى أَدْنَاهُمُ اشْتَكَى لَهُ أَقْصَاهُمْ.

إِنَّ مِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مُجْتَمَعٌ مِنْ مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْحَاقِدِينَ الْحَاسِدِينَ، الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُمَزِّقُوا شَمْلَ الأُمَّةِ وَيُفَرِّقُوا جَمْعَهَا، وَيُشْعِلُوا نَارَ الْفِتْنَةِ حَتَّى يَسْتَطِيعُوا التَّغَلُّبَ عَلَيْهَا. وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ، وَأَنْ يَنْتَبِهُوا لأَعْدَائِهِمْ، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ أَعْدَاءَهُمْ يَسْهَرُونَ اللَّيْلَ لِلتَّخْطِيطِ وَالْكَيْدِ لَهُمْ، فَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا دَائِمًا عَلَى حَذَرٍ، حَتَّى يَعْلَمُوا مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِمُ الشَّحْنَاءُ، وَكَيْفَ تُثَارُ فِيهِمُ الْبَغْضَاءُ.

نداء لأهل الإيمان:

إِنَّ وُجُودَ الْمُنَافِقِينَ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ يُشَكِّلُ خَطَرًا كَبِيرًا، وَلَكِنْ أَخْطَرُ مِنْ هَذَا الْخَطَرِ وُجُودُ أُنَاسٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ يَجْرُونَ وَرَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْهُمْ كُلَّ مَا يُمْلُونَهُ عَلَيْهِمْ، وَيَفْتَحُونَ آذَانَهُمْ لِكُلِّ مَا يُحَدِّثُونَهُمْ بِهِ، وَيَجْرُونَ وَرَاءَهُمْ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، يُقَلِّدُونَهُمْ فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، غَيْرَ مُبَالِينَ بِمَا يَجُرُّونَهُ لأُمَّتِهِمْ بِسَبَبِ جَرْيِهِمْ وَرَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ

قال ابن القيم: "ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرَّم وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه!! حتى يرى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً ينزل منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل مُتورِّع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات لا يبالي ما يقول!!!" (الجواب الكافي: ٥٤)

وعليه فإننا نذكر أنفسنا وأهل الإيمان: يا أيها المسلمون: الله الله في دينكم وأنفسكم وإخوانكم ومجتمعكم وأمتكم واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله.

والحمد لله رب العالمين.



دُعَاءُ إبرَاهيمَ بِبَعثَة خَاتمِ النَّبِيِّينَ صلى اللهِ عليه وسَلم

إعداد: د . سعيد محمد صوابي
أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر - القاهرة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

قال ابن إسحاق: حَدَّثني ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ خالد بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، فقال: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى وَبُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّام» الحديث: صححه الحاكم وأقره الذهبي على ذلك، وقال الحافظ ابن كثير: هذا إسنادٌ جيد(السيرة النبوية: ١/١٦٦ ، المستدرك: كتاب التاريخ – ذكر أخبار سيد المرسلين: ٢/٦٠٠).

وللحديث شاهد آخر أخرجه الإمام أحمد بسند حسن، والحاكم وابن حبان (واللفظ له) وصححاه، من حديث العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنِّي عِنْدَ اللَّه مَكْتُوبٌ بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ (ملقى على الجدالة وهي الأرض: النهاية: ١/٤٨) فِي طِينَتِه، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّيَ الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّام» (مسند أحمد: ٤/١٢٧ – ١٢٨، صحيح ابن حبان: ٨/١٦٠، مستدرك الحاكم: ٢/٦٠٠).

وفى رواية أخرى تتقوى بما قبلها، يقول صلى الله عليه وسلم: «وَسَأُحَدِّثُكُمْ تَأْوِيلَ ذَلِكَ، دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، دُعَاءُ: « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (البقرة: ١٢٩) وَبِشَارَةُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ، قوله: « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » (الصف: ٦)، وَرُؤْيَا أُمِّي: رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّهَا وَضَعَتْ نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّام» (قال الهيثمي: رواه أحمد بأسانيد، والبزار، والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد أحمد: رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان. مجمع الزوائد: ٨/٢٢٣، وقال ابن

حجر: روى عن العرباض بن سارية؛ وربما أدخل بينهما عبد الأعلى بن هلال، وروى عن: عبيدة الأملوكي، ورحل إلى معاوية، وله قصة مع عمر بن عبد العزيز، وروى عنه: معاوية بن صالح وأبو بكر بن أبي مريم، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: لم يصح حديثه، يعني: الحديث الذي رواه معاوية عنه مرفوعًا: «إني عبد الله، وخاتم النبيين في أم الكتاب» وخالفه ابن حبان والحاكم فصححاه. تعجيل المنفعة ص١٥٢ ط دار الكتاب العربي، بيروت، وقال البزار: شاميٌ، لا بأس به. كشف الأستار ١١٣/٣، وسكت عنه البخاري. التاريخ الكبير ٤٧٦/٣ ترجمة رقم١٥٩٣).

وأقول: سعيد هذا في الثقات لابن حبان ٣٦١/٦، لكنه ذكره في أتباع التابعين، وأما قول البخاري: لم يصح حديثه، فلم أعثر عليه، سوى ما ذكره ابن حجر آنفا، وعلى فرض ثبوته، فلعله يعني: لم يصح هذا الحديث عنه من هذا الوجه، أو أنه أراد: أن الحديث لم يبلغ درجة الصحة، وأما عبد الأعلى بن هلال: أبو النضر السلمي، فمن أهل الشام، يروى عن العرباض بن سارية، ويروى عنه خالد بن معدان، ذكره ابن حبان في الثقات ١٢٨/٥، وأما الحديث فصحيح بمجموع طرقه وشواهده التي مر بعضها، وسيأتي بعضها الآخر مع تعقيبات الأئمة على كل حديث منها، والله أعلم).

وفي رواية الحاكم: «إنّي عَبْدُ اللَّه، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَبِي مُنْجَدِلٌ في طِينَتِه وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي آمِنَةَ الَّتِي رَأَتْ» وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ، وَأَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ لَهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ، ثُمَّ تَلَا: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا » (الأحزاب٤٥، ٤٦) (مستدرك الحاكم: ٤١٨/٢، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي).

وأخرج أحمد والطيالسي وغيرهما بسند ضعيف من حديث أبي أمامة الباهلي قال: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّه مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ» (مسند أحمد ٢٦٢/٥، والمعجم الكبير للطبراني ٢٠٥/٨، ٢٠٦ ح٧٧٢٩ من طرق إلى الفرج بن فضالة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٢/٨ وعزاه إلى أحمد والطبراني، وقال عن إسناد أحمد: وإسناده حسن، وله شواهد تقويه، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦٣/١/١، ٦٤، وفي سنده: الفرج بن فضالة وهو ضعيف. تقريب التهذيب ١٠٨/٢).

ويؤكد تلك الأحاديث: ما امتنّ الله به على المؤمنين ببعثة خاتم النبيين؛ حيث شرّف به العرب خاصة، والخلق كافة، وذكره بالأوصاف التي نص عليها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في دعائه لمكة وأهلها، وهو يرفع قواعد البيت الحرام، وهذا واضح في قوله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ » (آل عمران-١٦٤).

قال الحافظ ابن كثير: «والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته صلى الله عليه وسلم وتحكيه في كتبها على أممها، وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته إذا بُعث، وكان أول ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان ابراهيم الخليل والد الأنبياء بعده» (تفسير ابن كثير ٢٦٨/١).

ونلحظ أن الله سبحانه وتعالى كلما خاطب العرب، وامتن عليهم ببعثة نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم ومنهم وصفه بالأوصاف نفسها التي حددها أبوهم إبراهيم، قال تعالى: « كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ» (البقرة: ١٥١).

وقال سبحانه: « هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ » (الجمعة: ٢).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.





الحل الاجتماعي والنفسي لمشكلة العاطفة وتغلبها على الشباب

إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح الجيران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد السابق عن أهمية تقويم الشخصية، وتغلب العاطفة على المشاعر لدى الشباب، وفي هذا العدد نتحدث عن الحل الاجتماعي والنفسي لمشكلة العاطفة وتغلبها على الشباب:

فيرى المختصون بأن أهم العوامل التي تساعد الشاب على التغلب على العاطفة وما يتبعها من آثار قد تكون سلبية مؤثرة على شخصيته وتكوينه الاجتماعي وعليه قرروا هذه الوسائل التي هي محل اتفاق علماء الاجتماع وعلماء النفس والتربية، وهي كما يلي:

١- إشراك الشاب في المناقشات العلمية المنظمة التي تتناول أهم الموضوعات التي تشغل حيزًا في تفكيره، ويتم طرح هذه المشاكل مع الكبار في جوٍّ من الثقة والصراحة، وكذلك إحاطة الشاب بأهم الأمور وحتى لا يقع فريسة الانفتاح غير المنضبط، وبالتالي يعتمد على مصادر غير موثوقة في تلقي معلوماته عن غير العلماء الكبار.

٢- أهمية تشجيع الشاب في المشاركة بالأنشطة الثقافية والاجتماعية والرحلات الترويحية، واستغلال أوقات الفراغ في مثل إقامة المعسكرات والدورات التخصصية والمسابقات، وغيرها.

٣- أجمعت الاتجاهات الحديثة في الطب النفسي لمرحلة الشباب على أهمية وجود الأذن المصغية من كبار السن ومحاولة إيجاد التوازن في نفس الشاب بين الاعتماد على النفس والخروج من زي فرض الأوامر العليا إلى زي الصداقة، وتبادل الخواطر، والمشاركة في صناعة الحلول، واقتراح البدائل المتاحة.

٤- إيجاد الأسرة المتماسكة ذات الروابط القوية، والتي يحظى كل فرد فيها باهتمام الجميع، ويشارك الجميع في اتخاذ القرارات الكبرى ذات الصفة العامة التي تهم الجميع بحيث يشعر كل فرد فيها بذاته وأهميته في الأسرة.

يقول د. عبد الرحمن العيسوي: «تقوم الأسرة بعمل أساسي في الوقاية من نمو النزعات النرجسية في أبنائها عن طريق تربيتهم على قيم إسلامنا الحنيف، فتغرس في نفوسهم خُلق التواضع، فمن تواضع لله رفعه، والخشوع لله، وعليها أن تربيه على عدم الحرص على الدنيا ومتاعها الزائل وتبني في نفوسهم أنها وسيلة للآخرة، وتغرس فيه حب الله ورسوله والجنة والنار والحرص على عمل الآخرة».

هذا ما وضعه علماء النفس والاجتماع لضبط العاطفة عند الشاب وفي محاولة

لتخفيف آثارها الناتجة عنها في حين تجد أن العلماء الربانيين تنبهوا إلى مثل هذه الآفة التي تهدد الشاب في دعوته وبعض الدعاة قد يفقد البصيرة وخاصة في مواطن الشبهات أو حتى الشهوات، ولهذا حذر العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى من ذلك، فقال: «وهذه يفقدها بعض الدعاة، تجد عنده من الغيرة والحماس والاندفاع شيئًا كثيرًا لا يستطيع معه أن يمنع نفسه مما يريد أن ينفذه، فيدعو إلى الله بغير حكمة قال الله تعالى: « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ » (النحل:١٢٥).

لكن هذا الداعية الطيب الذي ملأ الله قلبه غيرة على دينه، لا يملك نفسه فيجد المنكر فيهجم عليه هجوم الطير على اللحم، ولا يفكر في العواقب الناتجة عن ذلك، لا بالنسبة له وحده، ولكن بالنسبة له ولنظرائه من الدعاة إلى الحق، لذا يجب على الداعية قبل أن يتحرك أن ينظر إلى النتائج، ويقيس الأمور، فقد يكون في تلك الساعة ما يطفئ لهيب غيرته فيما صنع، لكن بالتأني والحكمة سيخمد هذا الفعل نار غيرته وغيرة غيره في المستقبل». (انظر: جنوح الشباب المعاصر: ص٣٩-٤١).

ولا مانع من الاسترشاد بأهل الخبرة من كبار السن، ومشاورتهم في مثل هذه الأمور وخاصة أمور النوازل والمستجدات والحوادث العظام.

الدعاة والنظرة الواقعية للحياة:

هناك نظرة مثالية وأخرى واقعية، والدعاة بحاجة للجمع بين الاثنين حتى يستطيع الدعاة أن يحققوا لأنفسهم الكمال بيسر واعتدال وشمول وبما يوافق الفطرة دون إرهاق ولا حرج ولا انعزال عن الحياة وأهلها.

قد يعاني الشاب من صراع داخلي بين الواقع والطموح بين ما تعلمه وحفظه من الصغر وبين تفكيره الجديد الناقد للواقع المليء بالمتناقضات واللامبالاة بالقيم، ويتكون عنده صراع محتدم بين جيله وعصره الذي يعيش فيه وما فيه من تطلعات وهموم وبين الجيل السابق له فيبدأ الشاب بالانسلاخ من الثوابت ويبدأ في إبراز آرائه ومواقفه لإثبات تفرده على غيره وهذا يستلزم المعارضة وعدم الموافقة لأنه يعتبر أي توجيه له إنما هو استخفاف به وبقدراته المتدفقة فيبدأ بتمحيص الأمور وفقًا لمقاييسه الخاصة دون اعتبار للمصلحة العامة، والنتيجة يحصل الانشقاق والتصدع والتحزب.

يقول د. عبد الرحمن العيسوي: «ومن العوامل المسئولة عن الشعوب بالقلق تطرف البعض وشعوره بالسخط وعدم الرضى عن كل ما يحيط به من أحداث وانفعال مع رغبة متطرفة في تغيير كل شيء وتجديده». اهـ. (جنوح الشباب ص٥٨).

ومما يجسِّد هذه الظاهرة أو يجلّيها هو معرفة أسبابها، فلعلي أستطيع أن ألقي الضوء على سبب عظيم من أسبابها فأقول: إن كثيرًا من المتدينين والمتدينات فضلاً عن غيرهم قد أشغلتهم الحياة الدنيا إما بسبب البحث عن الرزق والاستكثار منه عن أن يعيشوا أو يتعايشوا مع أبنائهم في معظم مراحل حياتهم، وقد تركوهم وأسلموهم لغيرهم ممن لا يحسن أو يُصلح من شأن نفسه، وأسلموا فلذات أكبادهم لمثل الخادمات في البيوت، أو وسائل الإعلام المختلفة الهابطة والمغرضة، أو تركوهم وشأنهم مع الصحبة المتدنية والمتردية، والتي أحسن أحوالها أنهم هَمَلٌ فيهم من الترف والدعة، يهيمون معهم ويتيهون في دهاليز الخيال الباطل، وأودية الأوهام المنحطة، وكانت هذه الفجوة بين الشباب والشيوخ بسبب البعد، والتباعد من الصغر، فهناك وحشة بينهما.

فأكثر المشاكل التي تحدثها العاطفة إنما

هي بسبب إهمالها وتركها من أصحابها المسئولية من آباء وأمهات ومدرسين ونحوهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه فإنه ينشأ على ما عوَّده المربي في صغره من غضب وجدال، وعجلة وخفة، وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يومًا ما.

ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشئوا عليها.

وكذلك يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفاحش والبدع، ومنطق السوء فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر وعز على وليه استنقاذه منه، فتغيير العوائد من أصعب الأمور التي يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية والخروج عن حكم الطبيعة عسر جدًا...».

وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته له على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء. (تحفة المودود ص٢٤٢).

ولو كتبنا عشرات بل مئات الكتابات وأُلفت المجلدات فلن يُجدي هذا شيئًا يذكر إذا لم يصحبه تواجد عملي، وقرب وصحبة توجيهية، وملازمة فعالة، واندماج وجداني، حتى تنضبط العاطفة، والنمط السلوكي.

فلماذا نشعر أن الشيخ والذي من شأنه أن يربي كأنه في قصر عاجي، والشاب مسكين في مهب الريح تعصف به يمينًا وشمالاً، وتضطرب بها أمواج الفتن هنا وهناك فيعيش في هذا التخبط ولا يستفيق إلا وهو في بدعة ضلالة، أو سجن من السجون، أو في أزمة نفسية وصراع نفسي، أو انحراف خلقي.

وكم يعيش (الغلام) أو الشاب مع والديه والشيوخ والعلماء وهو في كنفهم؟!

لو فرضنا أن الوالدين مؤهلان للتربية والنشأة الصحيحة، متى يراهما الشاب أو المراهق، وكم ساعة يعيش معهما؟!

ساعة أو ساعتين، يا ترى هل هذا يكفي؟ وكم تبقى صحبته المدرسية أو الجامعية، وكم يبقى مع شباب الضياع والرعونة والطيش، والترف وعدم المسئولية ولو كانوا من المتدينين، وكم يبقى مع أمثالهم من جيرانه ونحوهم؟ ثم (الفضائيات) و(النت).. إلخ، فما عسى أن يصلح الشيوخ في الشباب، والآباء في الأبناء إن أرادوا إصلاحًا؟، أنت تبني ومئات سواك يهدمون، إذن فما الحل الشرعي؟

هذا ما نتحدث عنه في العدد القادم إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية بشربين- دقهلية- عند الله تعالى الأخ الداعية الطبيب/ إيهاب محمود حمدي غيث، الذي وافته المنية يوم الاثنين ٨ رجب ١٤٣٩هـ.

رحم الله الفقيد رحمة واسعة، وإنا لله وإنا إليه راجعون، والبقاء والدوام لله.

رئيس التحرير



تعظيم النصوص الشرعية والرد على دعاة المدرسة العقلية

إعداد: معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فلم تكن مشكلة العقل والنقل أو الوحي والمعرفة الإنسانية موجودة لدى السلف الأولين، ذلك أن العقل المؤمن كان حاسمًا في موقفه المنهجي المبني على منطق العقل السليم: الوحي من علم الله الذي يُمَثّل الحق المطلق في كل ما قدمه من قضايا، ومن ثم: فإن أي تشكيك في قضية من قضاياه ينقض ذلك الإيمان أي أن هذا التشكيك يعني موقفًا غير عقلي. العقل مصدر للمعرفة، وهو الوسيلة التي كلفنا الله على أساسها وأمرنا أن ننظر في أمر الرسالة، ومن ثم الوحي من خلالها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ (سبأ: ٤٦)، لكن هذا العقل جزء من الإنسان المخلوق المحدود، ومن ثم فإن المعرفة الناتجة عنه تبقى دون العلم الذي يقدمه الوحي، إنه علم الإنسان أمام علم الله، وهي معادلة واضحة وعقلية.

لكن ذلك لم يكن لدى أولئك السلف، أنه ينبغي أن يُضمَر العقل وأن تبطل وظيفته الإبداعية ما دام الوحي موجودًا.

لم ينظروا إلى إيمانهم بالوحي وحقائقه المطلقة على أنه استغناءٌ عن العقل، ومن ثم عزلٌ له، كلا إن العكس هو الصحيح، إن انطلاق العقل لدى هؤلاء وإبداعه وفتوحاته في المجالات السياسية والاجتماعية والعلمية، وتنوع نشاطاته، كان نتيجة ذلك الإيمان بالوحي. (السلفية وقضايا العصر (١٩٧ ١٩٨))

تقديم "النقل" على "العقل" هو الأصل الأهم في المنهج السلفي وأعظم سماته:

فاتباع السلف في الفهم والتفسير من السمات البارزة للمنهج السلفي، ففي الصفات الإلهية إثباتها بلا كيفية، وفي المسائل الأخرى، اتخاذ الأوائل قدوة في النظر والعمل، فالقرآن والحديث أولاً ثم الاقتداء بالصحابة؛ "لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم، فكانوا أعلم بتأويله من أهل العصور التالية، وكانوا مؤتلفين في أصول الدين ولم يفترقوا فيه ولم يظهر فيهم البدع والأهواء"، فيتميزون بأنهم يبدأون بالشرع ثم يُخضعُون العقلَ له، بما يتفق مع الشرع، وأن الأوائل كانوا أكثر فهمًا ودراية للشرع من غيرهم.

وتظهر أصول العقيدة لديهم في الإيمان بصفات الله عز وجل وأسمائه من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيهها بصفات المخلوقين، بل أمَرُّوها كما جاءت

في كتاب الله أو على لسان رسوله وردّوا عِلمَها إلى قائلها.

قال شيخ الإسلام في "نقض المنطق" (ص٣٠٩): "المعقول عندنا ما وافق هديهم، والمجهول ما خالفهم، ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار".

فطريقتهم في إخضاع العقل للنص، لا العكس مخالفين بذلك قواعد المتكلمين من المعتزلة والأشعرية الذين قدموا العقل وأوّلوا النصوص تبعًا له، مستدلين بما استدل به شيخ الإسلام من قوله تعالى: "ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"، وقوله: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا "(النساء: ٦١)، فالآثار هي الرواية، وفي الآية الثانية دليل على نفاق من يُحاكم إلى غير الكتاب والسنة، وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين ما يُسمِّيه هو عقليات من الأمور المأخوذة من بعض طواغيت المشركين والكتابيين. وهذا الاعوجاج في التفكير الذي قوّمه ابن تيمية؛ هو الذي يتخذه أصحاب المنهج العقلي المعتزلي؛ المعاصرون الذين يحاولون إخضاع الدين والشريعة لمتطلبات العصر المتجددة، ومن جملة هؤلاء الشيخ محمد عبده وتلاميذ مدرسته العقلانية، ومن تأثر بمنهجه من أتباعه كعَلي عبد الرازق، وطه حسين، وقاسم أمين، والكواكبي. ومنهجهم يصرحون فيه بوجوب تأويل النص ليُوافي مفهوم العقل؛ وهو مبدأ "خطر"، فإطلاق كلمة "العقل" يَرُد الأمر إلى شيء غير واقعي؛ فهناك عقلي وعقلك وعقل فلان، وليس هناك عقل مطلق لا يتناوله النقص والهوى والجهل يُحاكَم النصّ القرآني إلى مقرراته، وإذا أوجبنا التأويل ليوافق النص هذه العقول الكثيرة فإننا ننتهي إلى "فوضى"!

أوجه الشّبه بين المدرسة العقلانية الحديثة والاتجاهات العقلانية القديمة

١- اتفاق المدرستين على تقديس العقل، وتقديمه على النص، وإخضاع الثاني للأول، وجعل العقل مصدرًا للتلقي مقدمًا في الاستدلال على الكتاب والسنة، وما يتبع ذلك من تأويل النصوص وتحريفها أو ردها، وعدم التسليم لها، والمبالغة في رفع شعار الحرية الفكرية، وإن كان على حساب العقيدة.

٢- استباحة الخوض في سائر أمور الغيب، التي لا يعلمها إلا الله، وليس للعقل قدرة على تصورها، وعدم احترام ما ورد عن طريق الوحي في القرآن والسنة عن بعض المخلوقات الغيبية والأخبار، إنكارًا، أو تكذيبًا، أو تهكمًا، أو تشكيكًا؛ وذلك فيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته، والوحي والنبوة، والملائكة والجن، والقدر والبعث وأحوال الآخرة.

٣- الاستهانة بأحكام الله وشرعه، وبالحلال والحرام، والأخلاق والتشريعات والعبادات وعدم التسليم لله فيها.

٤- الجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة في العقيدة وأصول الإسلام، وإحياء المذاهب المنحرفة بين المسلمين وتمجيدها، والدعاية لها باسم التسامح الديني وحرية الفكر والاعتقاد.

٥- اتفقت المدرستان على رد النصوص التي لا تناسب أهواءهم وأصولهم الفاسدة وعقولهم القاصرة، ويتمثل ذلك في إنكارهم لحُجِّية خبر الآحاد، بل والأحاديث الصحيحة والمتواترة إذا لم تناسب أذواقهم كما فعلوا تجاه أحاديث القَدَر والشفاعة، وأحاديث احتجاج موسى وآدم، وحديث الذباب، وأحاديث أشراط الساعة، فقد ردُّوا أحاديث نزول عيسى عليه السلام، والدجال والمهدي

والدابة.

٦- اتفاقهم على لَمْز السلف، والتهوين من شأنهم، ورميهم بالتعصب وضيق التفكير والجهل، وأن الاتجاهات السلفية عقيمة.

٧- الدعوة لتفسير القرآن والسنة وتأويلها تأويلاً عقلانيًا جديدًا حسب كل عصر دون اعتبار تأويل السلف والصحابة، ودون التقيد بالمصطلحات الشرعية والقواعد والمناهج التي قام عليها الدين ومنهج السلف.

أقوال علماء الأمة في تعظيم نصوص الكتاب والسنة والرد على العقلانيين:

يقول ابن تيمية رحمه الله: "ولا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل، والنقل يعني: القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين، فإن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه. (مجموع الفتاوى: ١٣٢٨/٢٩).

ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "إن الشريعة بيَّنت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه على ألسنة أنبيائه ورسله، ولذلك قال تعالى: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا " (الإسراء: ١٥)

وقال تعالى: "فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ " (النساء: ٥٩) وقال: "إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" (يوسف: ٤٠)، وأشباه ذلك من الآيات والأحاديث، فخرجت عن هذا الأصل فرقة زعمت أن العقل له مجال في الاستقلال بالتشريع، وأنه مُحسِّن ومُقبِّح في دين الله، فابتدعوا في دين الله ما ليس منه". (الاعتصام ٣٩/٢).

وقال أيضا: " لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع، فانه من التقدم بين يدي الله ورسوله" (الاعتصام ٣٣١/٢)

وقال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: "اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل: فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقول.

وأما أهل السنة قالوا: الأصل الاتباع والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بُنِيَ على المعقول وجب ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا شيئا حتى يعقلوه، ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله تعالى وما تعبد الناس به من اعتقاده وكذلك ما ظهر بين المسلمين وتداولوه بينهم ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى رسول الله من ذكر عذاب القبر وسؤال الملكين والحوض والميزان والصراط وصفات الجنة وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا وانما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها" ("صون المنطق" ص١٨٢).

سؤال: أي عقل هذا الذي زعموه ونصَبُوه ليكون حكما فيُتَّبع؟!!

لقد تصدى علماء السلف عبر العصور لدعاة المدرسة العقلية مفندين شبهاتهم وضلالاتهم ومن هؤلاء الأفذاذ الأعلام في عصرنا العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي حيث يقول رحمه الله: "ولا يغترَّنَ إنسان بما آتاه الله من قوة في العقل وسَعة في التفكير، وبسطة في العلم، فيجعل عقله أصلاً، ونصوص الكتاب والسنة الثابتة فرعًا، فما وافق منهما عقله قَبِلَه واتخذه دينًا، وما خالفه منهما لَوَىَ به لسانه وحرَّفه عن موضعه، وأوَّلَه على غير تأويله إن لم يسعه إنكاره، وإلا ردَّه ما وجد في

ظنه إلى ذلك سبيلاً ثقة بعقله واطمئنانًا إلى القواعد التي أصلها بتفكيره واتهامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو تحديدًا لمهمة رسالته، وتضييقًا لدائرة ما يجب اتباعه فيه، واتهامًا لثقاة الأمة وعدولها، وأئمة العلم، وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة، ووصلت إلينا عن طريقهم قولاً وعملاً.

فإن في ذلك قلبًا للحقائق، وإهدارًا للإنصاف، مع كونه ذريعة إلى تقويض دعائم الشريعة، وإلى القضاء على أصولها. إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكري متفاوت، وعقولهم متباينة، وقد تتسلط عليهم الأهواء، ويشوب تفكيرهم الأغراض، فلا يكادون يتفقون على شيء، اللهم إلا ما كان من الحسيَّات أو الضروريات.

فأي عقل من العقول يُجعل أصلاً يحكم في نصوص الشريعة فترد أو تنزل على مقتضاه فهمًا وتأويلاً.

- أعقل الخوارج في الخروج على الولاة، وإشاعة الفوضى وإباحة الدماء؟

- أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الأسماء والصفات وتحريفها عن موضعها وفي القول بالجبر.

- أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص أسماء الله وصفاته ونصوص القضاء والقدر وإنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة؟

- أم عقل الغُلاة في إثبات الأسماء والصفات، والغلاة في سلب المكلفين المشيئة والقدرة على الأعمال.

- أم عقل من قالوا بوحدة الوجود... إلخ.

ولقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول: "ثُمَّ الْمُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسَلَفِ الأُمَّةِ مِنْ الْمُتَأَوِّلِينَ لِهَذَا الْبَابِ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ، فَإِنَّ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَةَ، يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ يُحِيلُهَا، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ فِيهَا إلَى التَّأْوِيلِ، وَمَنْ يُحِيلُ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً، وَأَنْ يَكُونَ كَلامُهُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ يَقُولُ: إنَّ الْعَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ فَاضْطَرَّ إلَى التَّأْوِيلِ، بَلْ مَنْ يُنْكِرُ حَقِيقَةَ حَشْرِ الأَجْسَادِ، وَالأَكْلِ وَالشُّرْبِ الْحَقِيقِيِّ فِي الْجَنَّةِ: يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إلَى التَّأْوِيلِ، وَمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ: يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إلَى التَّأْوِيلِ.

وَيَكْفِيك دَلِيلا عَلَى فَسَادِ قَوْلِ هَؤُلاءِ: إنَّهُ لَيْسَ لِوَاحِدِ مِنْهُمْ قَاعِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِيمَا يُحِيلُهُ الْعَقْلُ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ، جَوَّزَ وَأَوْجَبَ مَا يَدَّعِي الآخَرُ أَنَّ الْعَقْلَ أَحَالَهُ.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ عَقْلٍ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؟! فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ حَيْثُ قَالَ: "أَوَكُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَدَلِ هَؤُلاءِ". (مجموع الفتاوى ٥/٢٦).

هذا، وإن فريقًا ممن قدسوا عقولهم، وخدعتهم أنفسهم، واتهموا سُنة نبيهم صلى الله عليه وسلم قد أنكروا رفع الله نبيّه عيسى ابن مريم عليه السلام إلى السماء حيًا بدنًا وروحًا، ونزوله آخر الزمان حكمًا وعدلاً، لا لشيء سوى اتباع ما تشابه من الآيات دون ردها إلى المحكم منها، واتباعًا لما ظنوه دليلاً عقليًا، وما هو إلا وَهمٌ وخيال. وردُّوا ما ثبت من سنة النبي صلى الله عليه وسلم نزولاً على ما أصّلوه من أنفسهم من أن العقائد لا يُستَدلُ عليها بأحاديث الآحاد، واتهامًا لبعض الصحابة فيما نقلوا من الأحاديث، وفي ذلك جراءة منهم على الثقات الأمناء من أهل العلم والعرفان دون حجة أو برهان".

والله المستعان، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.





١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

◇ ◇ ◇ ◇

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

◇ ◇ ◇ ◇

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا .

◇ ◇ ◇ ◇

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله ، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه .

جماعة أنصار السنة المحمدية

العمل بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة


التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
ثمن الكرتونة
١٠٥٠ جنيه
مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها !
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
لا يستغني عنها بيت مسلم
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي
للاستفسار .. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517